جيزابيل

مسرحية من ثلاثة فصول

جان أنوى

جان أنوى

ولد أنوى عام ١٩١٠ ، قبل يونسكو بعامين وبعد بيكيت بأربعة أعوام ، ومع ذلك فهو لم يستجب لموجة العبث التى طغت على المسرح فى الخمسينيات ، مع أنه شجعها وكان من القلة القليلة الذين شاهدوا " فى انتظار جودو " حتى النهاية .

أما تأثير الصدمة الذى ترك البصمات الواضحة فى انتاج أنوى ، فكان حينما شاهد مسرحية " سيجفريد " لجان حيرودو . وفى ذلك يقول : " منذ تلك الليلة دخلت فى ليل طويل لم أخرج منه حتى الآن ، وقد لا أخرج أبدا " .

يعدُّ أنوى من أغزر كتاب المسرح ، إن لم يكن أغزرهم جميعا . فقد ظل أكثر من خمسين عاما يطلع بمسرحية جديدة على جمهوره الذى اعتاد أن يشاهد له مسرحية جديدة كل عام . باستثناء الفترة من عام ١٩٦٢ حتى ١٩٦٨ التى لزم فيها الصمت .

بعد خمسين عاما فى المسرح ، وأكثر من أربعين مسرحية ، راق للكاتب أن يصنِّف أعماله إلى مسرحيات وردية ، وأخرى سوداء ، وثالثة متألقة ، ورابعة صريرية . ولكن الواقع هو أن الاختلافات ليست جوهرية ، بل ليست واضحة تماما . فالمرارة التى يهزأ بها أنوى نفسه تقبع خلف

الضحكات . كذلك فإن المسرحيات الوردية لا تخلو من الكآبة التى تبعث على القلق . حقيقة القول هو أن ما يمكن أن يكون قاسما مشتركا فى أعمال أنوى هو " الصريرية " التى تطغى على مسرحياته .

وإذا كان لنا أن نتحدث عن تطور فكرى عند أنوى ، فنحن على الأقل نلاحظ طابع اليأس فى كل أعماله . فهو يرفض الوضع الإنسانى الراهن ، وقد تأكدت هذه النظرة العدمية فى مسرحياته الأخيرة . فكل شىء باطل . وهو يضحك من ذلك ويرى أنه لا ينبغى أن نأخذ شيئا مأخذ الجد . الضحك وحده هو الذى يعيننا على تحمل هذه الحياة الدنيا . ولعل هذا هو الدرس الوحيد الذى أخذه أنوى من العبثيين .

من أشهر أعمال أنوى : مسافر بلا متاع (١٩٣٧) ، المتوحشة (١٩٣٨) ، أنتيجون (١٩٤٤) ، جيزابيل (١٩٤٦) ، الدعوة للقصر (١٩٤٧) ، بيكت أو شرف الله (١٩٥٩) ، السمك الأحمر (١٩٧٠) .

الشخوص

مارك

جاكلين

الأب

الأم

جورجيت

الأخ

الأخت

ابنة العم

الصغيرة

الفصل الأول

حجرة شاب فقير

جورجيت : **(وهى تدخل جاكلين)** – نعم ، موجود . تفضلى . سآتى بسيدى " مارك "

جاكلين : يا أنسة !

(جورجيت تلتفت)

أنت تحبين سيدك مارك طبعا ؟

(جورجيت تنظر إليها بارتياب ، وتخرج دون أن ترد عليها)

(مارك يدخل وينظر إليها دون أن يتحرك)

شعرت ببعض الخوف . أجل . فجئت .

جاكلين : **(لا يجيب ، يبدو معتل المزاج . تقترب هى من النافذة.)**

جميل هذا الميدان الصغير . لم أمر به أبدا .

مارك : إنه بعيد عن شاطئ البحر .

جاكلين : لماذا هجرت الشلة ؟

(يرفع كتفيه)

إننا نأسف لفراقك .

مـــــــارك : هذا ممكن .

جـــــاكلين : أنا آسف لفراقك .

مـــــــارك : صحيح ؟

جـــــاكلين : مـاذا بك ؟ أنت رئيس شلتنا الصـغـيـرة . وأفـضـل من يلعب التنس فـينا . وأسـرعنا فى الجـرى ، وأحسننا فى السباحة . وأنت خير من يعامل الفتيات الثلاث اللاتى فى الشلة . وإذا بك ذات يوم تـخـتـفى . ومـع ذلك نعـرف أنك لـم تـغـادر المديـنة . ونبـحث عنك ، فـتـخـفى نفسك عنا . وأخيرا تتوقف سيـارتى بسبب نفـاد البنزين بالقرب من هذا الميـدان الصـغـيـر . فـتـتـاح لى فـرصـة العـثـور على منزلكـم ، وهكذا تستقبلنى ، أنا صديقتك القديمة ! تصـور أننا تلاقـينا فى بداية يونيـو عندمـا لم يكن هنا أحـد على الإطلاق . هذه أمور لها أهميتها يا مارك .

(ينظر إليها)

كلا ، ليس هذا صـحيحا . لم تتوقف سيارتى بسـبب نفاد البنزين ؛

وإنما جئت سائرة على قدمى .

مـــــــارك : من أعطاكِ عنوانى ؟

جـــــاكلين : والدك .

مـــــــارك : والدى ؟ هل تحدثت إليه ؟

جـــــاكلين : أجل .

مـــــــارك : **(بمجهود)** – لابد وأنه أضحكك ؟

جـــــاكلين : لماذا ؟

مـــــــارك : إنه يحب أن يُضحك الناس .

جـــــاكلين : أعتقد أنه قال لى نكتة . ولكن لا يجب الاستمرار فى مثل هذا السخف .

على أية حال أنا لم أفهمه جيدا .

مـــــــارك : لماذا أتيتِ ؟

جـــــاكلين : لكى أسألك لماذا لم تعد تأتى .

مـــــــارك : **(يصيح فجأة)** – لم أعد أريد أن آتى !

(تنظر إليه . أهدابها ترمش . يمسك يدها فجأة)

أسف . أحبك يا جاكلين .

جـــــاكلين : وبعد ؟

مـــــــارك : لا تطلبى منى شيئا . دعينى .

جـــــاكلين : هل ستأتى ؟

مـــــــارك : سأحاول .

جـــــاكلين : هل تعتقد يا مارك ,أننى سأفهمك ؟

مـــــــارك : أعتقد ذلك .

جـــــاكلين : لماذا لا تقول لى شيئا ؟

مـــــــارك : لا أستطيع أن أقول لك شيئا .

جـــــاكلين : أنت غريب ...

مـــــــارك : أوه ، كلا ! بخاصة لست غريبا ...

(صمت)

أنا بائس ، هذا كل ما فى الأمر .

(صمت آخر)

جـــــاكلـين : أنـا أيضا كنت بائسة للغاية ، فى خلال هذه الأيام الثمانية ، ولكننى أخبرت الجميع بذلك ! اطمئن ، لم أقل إننى أحبك ، ثم لا أهمية لذلك كثيرا ، فأنا أعتقد تماما أن جميع من فى الشـاطئ قد أدركـوا ذلك الآن . ولكننى كنت أجـد لذة فى العمل على فشل فرق التنس ونزهات البواخر . كنت أتمنى أن تمطر السـماء . وكـنت أضـمد كعبى حتـى لا أجرى ولا أرقص معهم .

مـــــــــارك : يالها من همة عظيمة !

جـــــاكلـين : وأنت تعلم جيدا أننى أضيق بهذا كله . وأن قدرا ضئيلا منه كان يكفينى .

(ينظر كلاهما إلى الآخر مرة أخرى)

أحبك يا مارك !

مـــــــــارك : وأنا أيضا ، يا جاكلين .

جـــــاكلـين : إذن ، فلماذا ترحل ؟ لماذا تتركنى هكذا هـادئة ، سـاكنة ، حينما عثرت عليك ؟ لماذا لا أكون بين ذراعيك الآن .

مـــــــــارك : **(يأخذها)** ها أنت بين ذراعى .

جـــــاكلـين : وما هذا الوجه الصارم !

(تلمس جبينه بإصبعها)

لن أجتاز هذا الباب أبدا

(يقبلها فجأة)

أريد أن أكون لك .

(ينظر إليها مبتسما برقة وطفولة حقيقيتين ترتسمان على وجهه الذى كان منذ برهة جامدا مغلقا)

أريـد

(تقول هذا كطفلة صغيرة . وهى تضرب الأرض بقدميها بطريقة غير ملموسة)

مـــــــارك : **(يبتسم)** الفتاة صاحبة العربات الهائلة ، والكلاب الضخمة ، والتى اعتادت أن يطيعها الناس جميعا بمجرد إشارة من هذه القدم الصغيرة .

جـــاكلـين : **(تخلص نفسها)** – إننى فى نظرك دمية أو طفلة بلهاء .

مـــــــارك : كلا ، إنك فى نظرى أنقى الناس طهرا . وأعظمهم شجاعة ، وأكثرهم استقامة .

جـــاكلـين : ومع ذلك ، فسأظل دائما أصطدم بهذا الوجه الذى يغلق على ولا أفهمه .

لقد قلت لى ذات يوم إننى سأصبح زوجتك ...

مـــــــارك : فيما بعد ، حينما يصبح ذلك ممكنا .

جـــاكلـين : ولكنه ممكن ! إن أبى هو خير أصدقائى . ولقد أخبرته بكل شىء . وهو يعلم أننى لا أنخدع . وهو ينتظر أن تذهب لزيارته .

مـــــــارك : لن أذهب .

جـــاكلـين : أرجو ألا يكون ذلك بسبب فقرك ؟

مـــــــــارك : كلا . إننى أشعر فى داخلى بقوة هائلة . وفى اليوم الذى أصبح فيه حرا ، وأستطيع فيه أن أقرب العالم ، سوف أقهره .

جـــــاكلـين : ماذا تعنى بالحرية ؟

مـــــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جـــــاكلـين : سأنتظر حتى تستطيع .

(تنهض)

مـــــــــارك : **(يحتجزها بيده)** – أوه ، لا تتركينى ! ... ليتك تدركين أين أنا ومن أكون ، ومبلغ حاجتى .

جـــــاكلـين : هل بوسعى أن أواسيك فى آلام لا أستطيع أن أعرفها ؟

مـــــــــارك : أجل ، بعينيك ، بصوتك الرزين ، بجرأتك الهادئة .

جـــــاكلـين : لماذا تهجرنى ثمانية أيام ، ,وحينما تجدنى تتركنى بعيدة عنك كالغريبة ؟

وإذا لم يكن باستطاعتنا أن نتزوج الآن ، فلماذا لا نحاول أن نعيش معا .

(مارك لا يجيب)

إننى إنسانة من لحم ودم . وأخشى . أن يكون حبك لى ليس كما أريده أن يكون .

مـــــــــارك : إن حبى لك ليس كذلك ، ولكنه كذلك أيضا .

جـــــاكلـين : وبعد ؟ إنهم على الشاطئ لا يتحدثون إلا عن مغامراتك لقد عرفت فتاتين من المجموعة أقل منى جمالا ولم تكن تحبهما . ثم إننى تجاوزت مرحلة الطفولة ... ولقد أخبرتك بذلك .

مـــــــــــارك : **(يضمها إلى صدره ، ينظر إليها فى صمت . وفجأة يتكلم ، برزانة)** ستصبحين زوجتى يا جاكلين ، وقد تكون هذه بلاهة منى ، إننى أريد أن تصبحى زوجتى حقا لا عشيقتى كالأخريات . أريدك ببيت . ووالدك متعلقا بذراعك ، أريدك بباقات أزهار العرس .

جـــــاكلـين : **(تبتسم)** باقات أزهار العرس ! ...

مـــــــــــارك : لا يجب أن تقولى هذا بهذه التكشيرة . ما أجملها من مفاجأة أن أخذك وأنت فى الثوب الأبيض ، بعد طول الانتظار ، والخطبة ، وسط البسمات ووسط الموافقة العامة . إن كل هؤلاء القوم الذين أشعر نحوهم بشىء من الخوف ، ربما قاموا على تربيتك ، والعناية بك بهذا القدر العظيم من الحب والمبادئ ، لكى أستطيع أن آخذك فى تلك اللحظة . وربما قدمونى إلى عمتك العجوز ...

جـــــاكلـين : أنت غريب يا مارك ...

مـــــــــــارك : أوه ، لا تقولى لى إن جميع صديقاتك يتزوجن بهذه الطريقة من رجال لا يحببنهم .

هبى لى هذا المنظر الجميل الأخاذ ! كان ينبغى أن يكون لدى أمى ثوب من الدانتلا السوداء . إن ثيابها كما تعرفين رديئة للغاية ، لأنها لا تملك مالا كثيرا ، كما أنها غريبة الأطوار . ولكنها عندما تضطر إلى ارتداء الأسود ، فإنها تبدو رائعة .

جـــــاكلـين : إنك لا تحدثنى عنها أبدا .

مـــــــــارك : وكان ينبغى أن نشترى قبعة عالية لوالدى للرسميات . ما أغرب ما كان سيبدو والدى فى القبعة العالية .

جـــــاكلين : مارك أيها العجوز ! يسرنى أن أراك طفلا .

مـــــــــارك : وكان ينبغى ...

(يتوقف)

كان ينبغى : ماض معلَّق . لم أعد واثقا يا جاكلين أننى أستطيع .

جـــــاكلين : إذن ، ماذا وراءك يهددنا ؟ إننى بدأت أخاف الآن .

مـــــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك به .

جـــــاكلين : هل أنت واثق أنك لا تبالغ فى تصور الأمور ؟ هل أنت واثق أنك لا تخدع نفسك ؟

مـــــــــارك : ربما كنت مخطئا . سأعرف ذلك اليوم . إذا كنت مخدوعا ، فسأجتهد لكى أكون جديرا بك ، وسأحقق ذلك ، أقسم لك . وإذا لم أكن مخدوعا فلا ينبغى أن تسعى إلى لقائى لمدة طويلة . ولن أنساك .

جـــــاكلين : ولكن لا يحق لك أن تشقينى بهذه الطريقة . ففيمن خدعت ؟ وفيم خدعت ؟

مـــــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جـــــاكلين : (**ضـجـرة**) إننى إنسانة بسيطة . وأخشى أن تكون مبالغا فى حب الأسرار من أجلى .

مـــــــــارك : أو . كلا ! إننى أود أن أصبح شخصا بلا أسرار ، شخصا يبسط يده مستقيمة تماما ويقول : هذا والدى ،

ذلك السيد الذى كان زميلا لوالدك فى المدرسة . وهذه أمى ، هذه السيدة التى تمر . إننى لا أملك من دواعى البهجة والسرور إلا ما فى وجهى . وأنا واثق أنى قادر على إسعادك .

جـــــاكلين : لست فى حاجة إلى أن تخبرنى بهذا كله .

مـــــــــارك : أما أنا ففى حاجة إلى أن أستطيع إخبارك به .

جـــــاكلين : لماذا لم تأخذنى كالأخريات ، ولو لتتركنى بعد ذلك ؟

مـــــــــارك : إننى لا أريد أن أمارس معك الحب وحده . يبدو على أننى أجذف .

فالحب لا يكفى ، أريد أن أمارس معك المودة ، والثقة والحياة . أريد أن أراك كل يوم تتقدمين فى السن بالقرب منى . مستقيمة ، فخورة . مستقيمة تماما بشعر جميل أبيض .

جـــــاكلين : (**تبتسم**) تتعجل الأمور كثيرا يا مارك .

مـــــــــارك : (**غارقا فى حلم**) شعر أبيض . سأقول : هذه زوجتى . وسيحبك الناس جميعا ويحترمونك . ستعرفين كل شىء عن الحياة ومع ذلك . فلأنك بسيطة وطاهرة ، ستحتفظين بابتسامتك الصبيانية . كوالدتك فى تلك الصورة التى أريتنى إياها . أما أنا فسأكون مستقيما ، شريفا قويا بالقرب منك ، كوالدك . وسأكون كذلك متيما بك كما كان هو متيما بوالدتك . وستكون لنا طفلة ، وقد تغار من حبنا كما كنت تغارين من حبهما .

(يقول هذا كله وكأنه يقص حكاية جميلة وهو يضطرب شيئا ما . صمت)

جـــــاكلين : كم تحب ذكرياتى ، يا مارك !

مـــــــارك : ليس لى ذكريات مثلها ، وعلى ذلك فأنا أستخدم ذكرياتك مضطرا .

صــــــوت : بالله ياسيدتى ، سأتناول مشهيات ، حينما يطيب لى ذلك .

(الأب يدخل ، تتبعه جورجيت) .

الأب : صباح الخير يا أنستى الجميلة .

جـــــاكلين : صباح الخير يا سيدى .

(مارك يحتار لحظة ، ثم يتقدم)

مـــــــارك : جاكلين تأخرت يا أبى ، يجب أن تنصرف . تعالى .

(يخرجان)

الأب : **(يجلس قانطا)** – يهربان منى .

(جورجيت تمر بالقرب منه ، تحفه بجونلتها عمدا).

أيتها القذرة الصغيرة . أنت التى قلت لسيدتك إننى كنت أشم المشهيات ؟

جــورجــيت : كلا . يا سيدى .

الأب : كيف تريدين أن تشمها هى ؟ إنها لا تملك حاسة الشم على الإطلاق . إنها امرأة لم تستطع فى حياتها أن تشترى شمامة . ومهما راحت تشم الشمام كما تشم الشبان ، فإنها دائما تأخذ منه غير الناضج .

(يناولها سلة)

أمسكى ، هاك حصادى من نبات الفطر ، فاسلقيه .

جــورجــيت : أمرك ، يا سيدى .

الأب : هل تحبين نبات الفطر ؟

جــورجــيت : الحقيقة أننى لم أذقه فى حياتى ! إنه سام .

الأب : ليس حينما أقطفه أنا ! جورجيت ، أنك لا تثقين فىَّ . اقتربى !

جــورجــيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : أنت تعرفين تماما أننى لا أملك مالا .

جــورجــيت : تقول هذا دائما .

الأب : لأننى لا أملك منه شيئا .

جــورجــيت : يعنى ! ...

الأب : جورجيت ...

جــورجــيت : سيدى ؟

الأب : اقتربى ، يا جميلتى .

جــورجــيت : كلا .

الأب : سأقوم .

جــورجــيت : أوه ، لن تنالنى بهذه الطريقة !

الأب : أنا سيدك ، يجب أن تطيعينى .

جــورجــيت ليس فى هذا الأمر .

الأب : لن أمسَّك .

جــورجــيت : تقول ذلك .

الأب : هل لك عاشق ؟

جورجيت : كلا .

الأب : تكذبين . فقد رأيتك . وسأخبر سيدتك ، فتطردك ويضربك أبوك .

جورجيت : أنت الذى تكذب ! كيف تريد أن يكون لى عاشق ؟ فأنا لا أخرج مطلقا ، وسيدتى تعلم ذلك جيدا .

الأب : إن فتاة صغيرة جميلة مثلك لا يمكن أن تظل بلا عاشق .

جورجيت : نعم ! ...

الأب : لمجرد المتعة .

جورجيت : ليس لنا متع ، نحن .

الأب : لأنهم لم يعرفوا أيتها البلهاء الصغيرة . اسمعى يا جوريت ، سأشرح لك ، اقتربى .

جورجيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : أنك لا تفكرين إلا فى ذلك ! أنت ناكرة للجميل . تذكرى أننى قلت لسيدتك بالأمس إننى أنا الذى كسرت إناء الزهر الأزرق ، حتى لا تجعلك تدفعين ثمنه .

جورجيت : لقد كسرتُه لأنك كنت تطاردنى !

الأب : اقتربى يا جورجيت ...

جورجيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : سأشترى لك شيئا .

جورجيت : ماذا ؟

الأب : السروال الناعم الحرير الذى ترغبين فيه .

جورجيت : لقد اشتراه لى سيدى مارك .

الأب : ماذا تقولين ؟

جـورجـيت : أقول إن سيدى مارك اشتراه لى .

الأب : تكذبين .

جـورجـيت : تستطيع أن تسأله .

الأب : ما دخله هو ؟ إنه عاشق والبلدة كلها تعلم ذلك !

جـورجـيت : للطويلة النحيفة ؟ كنت سأعجب لذلك . أنه لا يحب إلا الصغيرات السمينات أمثالى . إنه فى يدى .

الأب : يا لك من ساذجة . هل أخبرك بذلك ؟

جـورجـيت : كلا ، ولكننى رأيته .

الأب : ليس هناك أطفال ! ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هيه ، قولى .

يمكنك أن تقصى على فلن أخبر أحدا .

جـورجـيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : **(وقد نجح فى مسكها)** لن أعطيك شيئا ، أيتها القذرة الصغيرة ! إنك فى يدى الآن ! لن تستطيعى الإفلات !

ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هه ؟

جـورجـيت : دعنى وإلا صرخت ...

مـــارك : **(يدخل ، يمسك والده من رباط عنقه ، وينتزعه من كرسيه)**

بابا ، ألا تترك هذه الصغيرة ؟

الأب : **(وهو يتراجع ممسوكا من رباط عنقه)** مارك !

مـــارك : أما هذه ، فإننى أنذرك بألا تمسها .

الأب : أنا والدك !

مـــــــارك : أعرف ذلك .

(يقوده حتى الباب)

انصرف

الأب : هكذا تضاجع الخادمة الآن ؟ ألا تخجل .

مـــــــارك : لا

الأب : ولا تكتفى بمضاجعتها ، بل وتنفق مصروفك فى شراء السراويل لها بينما نحن فى حالة ميئوس منها ، ولا تخجل ؟

مـــــــارك : لا . انصرف .

الأب : إننى ألعنك .

(يخرج . جورجيت تحاول الهروب)

مـــــــارك : **(يحتجزها)** جورجيت ، ألم ترى صديقتك بعد ؟

جـورجـيت : نعم لم أره ، يا سيدى مارك .

مـــــــارك : هل أنت واثقة على الأقل أنها تبعتهما ؟

جـورجـيت : أجل ، فليس عليها أن تفعل غير ذلك .

مـــــــارك : ماذا قلت لأبى الآن ؟

جـورجـيت : لا شىء

مـــــــارك : ألا تتكلمين ؟ هل قلت له إننى قدمت إليك هدية ؟

(لا تجيب)

وأننى عشيقك ؟ ما هذه الحكاية ؟

جـورجـيت : إنك تسىء إلى .

مـــــارك : لماذا قلت له ذلك ؟

جـورجـيت : **(بعد صمت)** أنا أعرف تماما كيف تنظر إلى .

مـــــارك : أنت مجنونة .

جـورجـيت : كلا

مـــــارك : أنت طفلة

جـورجـيت : أنا فى الخامسة عشرة . وها قد مضى عامان منذ اشتغلت . وقبل ذلك كان والدى ، إذن ...

مـــــارك : **(ينظر إليها لحظة)** لا تدعى والدى يمسُّك . خذى . اشترى لنفسك ما تريدين .

(تخبئ النقود)

جـورجـيت : مادمت تهتم بذلك ، فاطمئن أنه لن يمس منى إلا ما لا أستطيع منعه عنه ، وفى الجزء العلوى فقط .

(تنصرف لكى تخرج ببطء . تلتفت)

ها أنت ذا تنظر إلىَّ كالمرات الأخرى .

مـــــارك : تعالى !

(تقترب جورجيت فى هدوء)

هل أنت واثقة أن صديقتك ستقوم بالمهمة .

(بضيق فجأة)

جـورجـيت : أجل .

(صمت)

وبعد ؟

مـــــارك : انصرفى .

جـورجـيت : أنت غريب الأطوار .

(تقول ذلك بجفاء واحتقار، ثم تخرج . يمرر مارك يده فوق جبينه ويهم بالجلوس) .

الأب : **(يدخل ، طبيعيا للغاية)** وبعد يا بنى ، هل فكرت فى كشف الحساب ؟

مـــــارك : أى كشف ؟

الأب : كشف الغاز .

مـــــارك : ولكن ... أين مرتبك ؟

الأب : لم يبق منه شىء .

مـــــارك : إننا فى العاشر من الشهر .

الأب : لقد أعطيت كل شىء لأمك . فاشترت لنفسها قبعات .

مـــــارك : لقد أخبرتنى أنك لم تعطها إلا ألف فرنك . فأين الباقى ؟

الأب : أنها تكذب . ومع ذلك فهل تريد أن أقوم بعمل الحساب لك ؟

مـــــارك : أوه ، كلا ، فإنك دائما تكون على حق حينما تقوم بعمل الحساب .

الأب : كلا . كلا . إننى أتمسك بذلك . فى كلمتين . اسمح لى بكلمتين أيها الكونت [١] .

(يضحك)

مارك – عظيم .

الأب : هل تحتقرنى ؟

(١) عبارة مشهورة قالها رودريج للكونت فى مسرحية " السيد " .

مـــــــارك : أجل .

الأب : تحتقرنى لأننى أغازل الخادمة بينما أنت عشيقها . شىء مضحك !

مـــــــارك : أنا لست عاشقها ، لقد كذبت عليك .

الأب : الجميع يكذبون علىَّ هنا . وذلك لكى يبتزوا نقودى دائما !

مـــــــارك : ماذا تخشى ما دمت لا تملك منها شيئا !

الأب : هذا صحيح ، ولكنهم يحاولون . إذن فأنت لست عاشقها ؟

مـــــــارك : كلا .

الأب : حسن .

مـــــــارك : ولكننى أمنعك أن تصبح أنت عاشقها .

الأب : لماذا يا بنى ؟

مـــــــارك : إنك تثير اشمئزازى . أحب ألا أتحدث معك فى هذا الموضوع .

الأب : أنت ترغب فيها ، هيه أيها الماجن ؟ أما أنا فلست على هذا القدر من الخبث . إنها صغيرة لا تفكر إلا فى النقود . **(يضحك)**

مـــــــارك : **(يضرب رأسه بقبضته)** جاكلين ! جاكلين !

الأب : **(بصفاء)** هل تنادى الخطيبة ؟

مـــــــارك : أنا ابنه . أنا ابنهما . هل أستطيع يوما أن أنتزع نفسى منكما ؟

الأب : لقد قضى الأمر . إنك تجحد مولدك . إنك لا تتعلق بنا إلا من حبل سرتك.

(يضحك)

مـــــــــارك : هل كنت تقول لجاكلين نكاتا من هذا النوع ؟

الأب : إنها رائعة . تصور لقد قلت لها نكتة .

(يتكور فى كرسيه كما لو كان يشعر بالبرد)

الأب : إذا قلبتها غمًا فهذا الأمر يختلف ، ماذا تريد يا بنى ، بالضبط . إننى ألهو مع هؤلاء الخادمات الصغيرات . أنت الآن كبير ويمكن أن أتحدث إليك . أنت تعلم أن أمك لا ترغب فيَّ منذ عام ١٩١٣ . أنا عجوز دميم ولكننى أيضا رجل . وبقليل من المال وبقليل من الفراغ يصعب على المرء أن يجد عشيقة ... هناك البيوت السرية ، طبعا ، ولكنها مجازفة مع ما تتركه أمك ... أما هؤلاء الصغيرات هنا فعلى العكس ، نظافة وأمان ، وهذا دائما لا يتطلب الكثير . وأخيرا لا يجب أن نعمل من الأمور البسيطة فواجع . إنهن فتيات متعودات على ذلك ... ولست أول عاشق لهن ، يا للشيطان ! ماذا تريد أن أقول لك يا بنى ؟ إننى لا أرتكب جرما عظيما . وعلى كل فقد كنت دائما أحترم الأخلاق والمظاهر . وهذا بخلاف أمك .

مـــــــــارك : **(وهو لا يتحرك)** ماذا تقول ؟

الأب : أقول إن هذا بخلاف أمك .

مـــــــــارك : لم أكن أنصت إليك .

الأب : فيم كنت تفكر ؟

مـــــــــارك : فيك .

الأب : **(ضيقا)** أوه ! يابنى ...

مـــــــارك : أيتها الخرقة القديمة ...

الأب : **(بحركة)** أبوك ! ...

مـــــــارك : أبى المسكين العجوز !

الأب : أجل .

مـــــــارك : لا تستطيع أن تقف على ساقيك ، وتتمسح بالخادمات ، وترى أموالك تتسرب ...

الأب : لم أطلب منك أن تقول ذلك !

مـــــــارك : ومع ذلك فقد وضعت منه فى ركنك الصغير ما استطعت أن تحفظه .

الأب : كذب !

مـــــــارك : وأنت تتقدم فى السن . ولن يلبث أن ينتهى ذلك . ولا تملك شيئا . ولم تملك شيئا على الإطلاق .

الأب : بقى لى شرفى .

مـــــــارك : أجل ، والمظاهر .

الأب : أجل .

مـــــــارك : هل كنت شقيا معها ؟

الأب : أجل .

مـــــــارك : وهى أيضا كانت شقية .

الأب : إنها ...

(ينظر إليه ، يكمل)

إنها أمك .

مـــــــارك : أجل . كم من الوقت يلزمك لكى يكون لديك ما يكفى لشراء عشة وقارب على شاطئ البحر !

الأب : أنت مجنون ؟

مـــــــارك : قل ...

الأب : أنا لا أملك مليما ... إننى مدين بخمسة وعشرين فرنكا لزميلى " بيزار "

مـــــــارك : (**وهو يدفعه دفعات خفيفة**) أيها الماجن ! ... بوسعك أن تذهب ، فتشترى بضع سنوات من الهدوء ... وسأزورك .

الأب : آه ، لو كنت تقول الصدق !

مـــــــارك : أنا أيضا قد أفعل ذلك . ولكن فرصتى فى ذلك أقل كثيرا من فرصتك .

ومع كل ، ما قولك لو أننى ، ذات يوم ، اشتريت لك قبعة عالية وسترة لكى تحضر حفل زواجى .

الأب : تتزوج ؟ بالصغيرة ؟

(يأتى بإشارة تدل على أن هناك مالا .)

سيكون ذلك رائعا ! أتعشم ألا تنسى والدك العجوز ؟

مـــــــارك : كلا ، ولكن يجب أن تبدو فى مظهر محترم ذلك اليوم ، هيه ؟

الأب : اطمئن .

مـــــــارك : ولا تقل نكاتًا ؟

الأب : لدى منها مجموعة مختارة . إننى نكتى ولكننى أعرف عالمى .

بخلاف أمك ، فكل يوم يمضى تصبح أكثر شيوعا من اليوم السابق .

إنها تعاشر قوما يخيفون . هل رأيت السيد مارسيل هذا ؟

مــــــــارك : أجل . هل تعرف من يكون ؟

الأب : كلا . إنه يشبه الخدم .

مــــــــارك : ألا تذكر أنك رأيته وسط الناس فى الملهى ؟

الأب : كلا . اثنان وعشرون !

(الأم تدخل)

مــــــــارك : صباح الخير يا أمى .

الأم : إننى أشعر بإعياء شديد . لم أنته بعد من أعمال البيت . جورجيت لا تفعل شيئا . أنا دائما من تشقى هنا . هل وضعت " الأنيزيت " فى حجرتك .

مــــــــارك : أمى : لن تشربى الآن . فإننا سنتناول الطعام .

الأم : لن تمنعنى من الشرب وأنا ظمآنة الآن ! فأبوك يفرط فى تناول المشهيات وأنت لا تقول له شيئا . أما أنا فدائما على خطأ .

(تخرج) .

الأب : وهى تشرب أكثر فأكثر حينما ترى أنك لا تراقبها .

مــــــــارك : وأنت تتركها تفعل ذلك ؟

الأب : مادامت لا تقول لى شيئا فأنا لا أهاجمها .

مــــــــارك : كيف استطاعت أن تشترى هذا المئزر الأصفر ؟

الأب : أنها تحب الألوان الصارخة .

مــــــــارك : إنها تزداد سمنة . فهى لم تعد تعتنى بنفسها .

الأب : كلا .

(مارك يجلس ورأسه بين يديه)

كيف تريد أن نتصرف معها يا بنى ؟

مـــــــارك : أخشى أن أتحدث إليها. إن كل كلمة نتبادلها تقلص وجهينا . أود أن أهدئها، أن أقول لها إننى أحبها ، وأن هذا من أجلها . لابد وأننى أخرق .

الأب : يجب أن تتركها لحالها .

مـــــــارك : كلا .

الأب : ستضيع وقتك .

مـــــــارك : أريد أن أنجو بنفسى . أريد أن أعيش ، هل تفهم ؟ لا أستطيع أن أفعل شيئا وأنا معكما أنتما الاثنان ، وأنا بينكما أنتما الاثنان .

الأب : هوِّن عليك ، يا بنى ، أنا لست بائسا . فأنت حر، وتحصل على مصروف جيب كاف . بخلافى أنا ، أنت شاب .

مـــــــارك : أجل .

الأب : ألست شابا ؟

(ينظر من النافذة)

يالمصيبة ، إنه الغاز !

(يصيح)

جورجيت ، لا تفتحى !

(يطـرق البـاب . صـمـت . يطـرق البـاب مـرة أخرى . لحظة)

لقد وضع إنذارا فى صندوق الخطابات . لدينا ما يكفينا خمسة أيام .

مــــــــارك : عندما يتحتم علينا أن نفكر فى هذا السيل من كشوف حساب الغاز . وأن نجفف هذا الفيض من الدموع الزائفة ، وأن نكذب على هذا وذاك ، وأن نكون عاقلين مهما حدث ، مادام أحد ليس عاقلا ...

الأب : أنت تبالغ .

مــــــــارك : بكل تأكيد .

الأب : فى مثل سنك كنت سعيدا . وهل تدرى كيف كان أبى وأمى ؟ كنت معهما بين ذراعى كلاَّبة .

مــــــــارك : كان لك حظ ، كان الأمر أكثر تصريحا .

(صمت)

الأب : وفضلا عن ذلك فإذا تم هذا الزواج فستنسانا سريعا وكذلك ستنسى كشف حساب الغاز . أعتقد أن حماك سيدبر لك وظيفة ؟

مــــــــارك : لقد أخبر جاكلين أنه سيأخذنى فى مصانعه .

الأب : هذا رائع . أنا فخور بك . إننى أنتظر بفارغ الصبر أن أكتب إلى العائلة لأخبرها بذلك .

مــــــــارك : لا تتعجل أكثر من اللازم .

الأب : أما بخصوص السترة ، فبمجرد أن تحصل على قليل من النقود أعطنى إشارة فإن زميلى " بيزار " لديه فرصة رائعة وسأتحدث معه مساء اليوم فى هذا الشأن .

مــــــــارك : ما أسرعك . لا تتحدث فى هذا إلى زميلك " بيزار "

الأب : لماذا ؟

(مارك يهز كتفيه)

أهناك مانع محتمل ؟

مـــــــارك : أجل . يكاد يكونُ أكيدا .

الأب : امرأة ؟

مـــــــارك : **(بابتسامة رهيبة)** .

أجل .

الأب : سيئة السلوك ؟

مـــــــارك : أجل .

الأب : وإذا قدمت إليها المال ؟ أنا لا أملك منه شيئا ولكن حماك قد يقرضك ؟

مـــــــارك : ليست هناك وسيلة ياأبى العجوز المسكين .

الأب : إنك تفزعنى يا بنى .

(صمت)

مـــــــارك : سوف نلتقى ، ليكن ! ولسوف نتحدث عن الخادمات . ولسوف نحاول أن نمنع أمى من الشرب .

الأب : لا تكن لاذعا .

جـورجـيت : **(تدخل)** سيدى مارك . لقد حضرت صديقتى .

مـــــــارك : **(ينهض فجأة)** صحيح ؟ أدخليها . دعنا وحدنا يا والدى .

الأب : **(باهتمام)** – ما هذا ؟ ألا أستطيع أن أراها ؟

مـــــــارك : كلا . سأشرح لك فيما بعد ، دعنا الآن .

(يدفعه إلى الخارج . ثم يخاطب جورجيت) .

ماذا ؟

جـورجـيت : سأدخلها ، ولكننى أنذرك . فهى امرأة بغيضة . تسعى إلى امتلاك جميع الرجال .

مـــــارك : وبعد ؟

جـورجـيت : لسوف تسبب لك ضجة بكل تأكيد . ولكن خذ حذرك ؛ فهى مريضة ، وقد أخذت هذا المرض من أحد جنود الفرقة ١٦٨ .

مـــــارك : ولماذا تقولين لى ذلك ؟

جـورجـيت : لأننى لا أريد أن تتصل بها ، والله

مـــــارك : (**يمسكها من كتفيها**) – هل سيستمر هذا المزاح ؟ تتصورين دائما أننى أرغب فيك ، أيتها الصغيرة البلهاء ؟

جـورجـيت : (**تنظر مليا فى وجهه**) – أنا متأكدة من ذلك . انظر . إنك لا تجرؤ أن تنظر إلى منذ أمسكتنى . إنك تضغط على لدرجة أنك تؤلمنى آى ! ... إنك تزيد من شدة الضغط ...

مـــــارك : لماذا تفعلين كل هذا ؟ ... أتحبيننى إذن ؟

جـورجـيت : (**بوضوح . برزانة ، بلا دلال**) – كلا .

مـــــارك : (**يهزها فجأة وهو يصيح**) ليس هذا صحيحا ، فاهمة ؟ أنا لا أرغب فيك . ولم أرغب فيك أبدا . ولسوف تعودين إلى والدك ! ومع ذلك فأنا سأرحل . وستخبرنى صديقتك بذلك الآن . سأصبح حرا ! لم يكن هو . لقد خدعت ! الأمر سيكون فظيعا لو اضطررت للبقاء هنا معكم أنتم الثلاثة .

جـورجـيت : (**مهزوزة**) – آى ! آى ! آى ! أنت مجنون !

مـــــــارك : **(يتركها فجأة)** – احضريها .
(جورجيت تخرج وتعود) ها هى ذى .
(تدخل فتاة بين السادسة عشرة والسابعة عشرة تبدو عليها هيئة الأوباش . يخاطب جورجيت)
دعينا .

جـورجـيت : كلا .

مـــــــارك : قلت لك دعينا

جـورجـيت : كلا ، ثم إنها ستقول لى كل شىء ...

مـــــــارك : هل تبعتها ... أخبرينى بسرعة ؟

الصـغـيـرة : أجل . ولكنها تاهت منى يومين . وأمس فقط استطعت أن أتبعها حتى النهاية .

مـــــــارك : هل كانت بصحبة الشخص نفسه فى الأيام الثلاثة ؟

الصـغـيـرة : أجل ... الطويل الأسمر .

مـــــــارك : ألم يكن يرتدى زى السائقين ؟

الصـغـيـرة : نعم لم يكن .

مـــــــارك : وبعد ذلك حمت حول حظيرة السيارات **(الجراج)** كما طلبت منك ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــارك : ولكن تكلمى ، تكلمى إذن ! هل رأيته ؟

الصـغـيـرة : أجل . رأيته .

مـــــــارك : هل كان فى زى السائقين هذه المرة ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــارك : هل كان هو نفسه ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــارك : هل أنت واثقة أنه هو نفسه ، الذى رأيته معها أول مرة ؟ هل أنت واثقة من عدم وجود تشابه .

الصـغـيـرة : كلا . لقد رأيت حتى خاتمه . ولكننى لا أعرف لماذا احتجت إلى فى هذا الشأن ، فقد كنت تستطيع أن تراه بنفسك .

مـــــــارك : (**يعطيها بعض النقود . يشحب تماما**) خذى . اصحبيها يا جورجيت .

الصـغـيـرة : (**مبتسمة**) إن سيدك خفيف الظل .

جـورجـيت : إنه فاسق . يلهو مع كل بنات الحى .

(تخرجان)

مـــــــارك : (**ينادى**) ماما ! ماما !

صـوت الأم : ليس لدى وقت ، إننى أرتدى ملابسى .

مـــــــارك : اصعدى حالا ، ضرورى !

(الأم تدخل متسربلة بطريقة عجيبة)

مـــــــارك : (**يبدأ رزينا**)

أمى !

الأم : إيه حسن ، ماذا تريد ؟ هل تعجبك قبعتى الصغيرة الأمريكية ؟

مـــــــارك : هل جننت ؟

الأم : كنت أتوقع منك ذلك . إنك تريد أن أرتدى ملابس العجائز ! إننى لم أصبح عجوزا يا صغيرى مارك ، ليس بعد ...

(تصلح هندامها أمام مرآة . تغنج)

مـــــــارك : أمى .

الأم : ماذا بك يا صغيرى ؟

(تنظر إليه . تتحسس شعره فى حركة أمومة)

هل أنت بائس ؟

مـــــــارك : أجل .

الأم : ماذا جنيت من الذنوب لكى أنجب ابنا كهذا ؟ كيف يمكن أن تصبح بائسا ؟ لا شىء هناك ، دعك من هذا ، إن هذه الأحزان تمر بسرعة .

(تربت عليه خفيفا . يتبعها بعينيه . يتردد ، عندما تصبح قريبة من الباب يناديها) .

مـــــــارك : أمى !

الأم : مـاذا تريد إذن ؟ ستجعلنى أتأخر عن الغداء إننى على موعد فى الثانية .

مـــــــارك : يجب أن تستمعى إلىَّ يا أمى .

الأم : **(أمام المرآة)** هيا ، تكلم . أهى أشجان الحب ؟ حقا أنك لا تقصها على إطلاقا ، فأنت لا تثق فى . إيه حسن ، تكلم ، هل تحب هذه الصبغة الشقراء الإيطالية ؟ أظن أننى كنت أجمل حينما كنت استخدم الصبغة الكستنائية . إنك لا تقول لى شيئا أبدا .

مـــــــارك : كان حديثى معك سيصبح سهلا لو لم تستخدمى الصبغة الشقراء الإيطالية .

الأم : أنت مثل أبيك ، تريد أن أصبح عجوزا حتى أستطيع أن أتفرغ لخدمتكما .

مـــــارك : لا تختلقى أفكارا سيئة . إننى أحبك ، وأود أن تكونى سعيدة ولكننى أود أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : وهل أنا أحول بينك وبين السعادة ؟

مـــــارك : اجلسى . اخلعى على الأقل قبعتك الأمريكية . أجل ، اخلعيها إننى أجلس على الأرض وأضع رأسى بين ركبتى كما كنت طفلا . أنا بائس يا أمى وهذا بسببك أنت .

الأم : ماذا تخترع ثانية ؟ إنك تتسلى بتعذيبى !

مـــــارك : منذ زمن بعيد ربما منذ عشر سنوات . تمنيت أن أكلمك بهذه الطريقة . وفى بعض الأحيان كنت أريد أن أتوسل إليك لكى تكونى أما كالأمهات الأخريات ، وفى بعض الأحيان كنت أريد أن أسبك ، أن أهينك ...

(ينكمش بين ركبتيها)

الأم : ماذا بك يا مارك ؟

مـــــارك : فى سن السادسة كنت أبله كجميع الأطفال . كنت أظن أننى قوى . وقد أوشكت أن أؤدى هذا المشهد أمامك . والآن ، وقد كبرت قليلا ، أدركت تماما أننى لن أؤدى ما حييت ، مشهدى البديع ، مشهدى الرهيب .

الأم : ولكن ، ماذا بك ؟

مـــــارك : أمى ألا تمكنينى من السعادة قليلا بدورى ، ألا تقبلين أن تكونى عجوزا كما تقولين ! ليس هذا قبيحا ، كما تعلمين ،

عجوزا ما تزال جميلة ، لها شعر أبيض جميل ، عجوزا ترتدى ثيابا سوداء ، وتلمع منزلها ، عجوزا تهتم ...

الأم : **(تنهض)** دعنى يا مارك . أنت أنانى .

مـــــــارك : **(يصرخ)** أمـاه !

الأم : **(تتوقف)** لقد ضحيت بنفسى فى سبيلك . لم أكن أتصور أنك ستكافئنى بهذه الطريقة آه ! هذا عقاب إنجاب الأطفال ...

(هما الآن مبتعدان كل عن الآخر) .

مـــــــارك : **(بوضوح ، ضاغطا على أسنانه) .**

أمى ، ليس هذا صحيحا ، إنك لم تضحى من أجلى أبدا . وإننى أسألك لأول مرة أن تفعلى ذلك .

الأم : أنت أنانى !

مـــــــارك : لا تكررى هذه الكلمة ، فهى غير صحيحة . تشجعى وانظرى داخل نفسك . راجعى نفسك .

الأم : دعنى أذهب .

مـــــــارك : كلا .

الأم : دعنى أذهب ، فلم أعد أريد أن أنصت لك ! من أجلك أنت ، بقيت إلى جوار هذا البخيل ، هذا الجبان الذى أبغضه . إننى أندم الآن لأننى لم أرحل .

مـــــــارك : كنت تحسنين صنعا لو كنت رحلت .

الأم : ماذا تقول ؟

مـــــــارك : أقول إنك كنت تحسنين صنعا لو كنت رحلت : كنت سأكون أقل شقاء ! ولكن . لا توهمى نفسك . إن الرحيل

مـجرد كلمة . فـأين تذهبين ؟ لقد بقيت لأنه يعولك ، ولأن هذا الوضـع أفضـل وأيسر . ولكنك لم تضـحى بـأية متعة من أجلى .

(تنهض فـجـأة . لا تقـول شـيـئـا. يريد أن يحـتـجـزها . تحـاول أن تخلص نفـسـهـا. دون كلمـة واحـدة ، وعـينـاها زائغـتـان ، تبكى بلا صـراخ) . سـامـحـينى يا أمى ، سـامـحينى . إننى لا أدرى مـا أقـول . وكمـا ترين أن هذا الكلام السـىء يفلت من بين شـفتى . ليس هذا صـحيـحـا ، لقد بقيت لأنك كنت تحبيننى . أنا أعرف ذلك ، سامـحينى يا أمـاه . لقد كنا خير صديقين . وكنت دائما تخلصيننى من المكائد . ليس هذا صـحيحا . لقد كذبت عليك ، ينبغى أن تنسـى مـا قلتـه . لقـد بقـيت أنت لأننى عندمـا كنت أصـاب بالمرض لـم يكن هناك غـيـر يدك فـوق جـبـينى تشـفـينى ، لقـد بقـيت لأننى فـى المسـاء كنـت لا أحب أن أؤدى صـلاتى إلا بصـحبتك ، وإذا كنت قد أشـقيتنى فإنك لم تفعلى ذلك عمدا أبدا . ماما . ماما ، ماما ، لماذا فقدنا كلمات الطفـولة الجـمـيلة ؟ مـامـا ، مـامى . لا تبكى يا أمـاه ! اسـمـعـينى ، إننى أجلس مـتكورا على الأرض حـتى إنك تستطيعين أن تعتقدى أننى لم أكبر بعد . أنت الآن عائدة منذ قليل ، وقد ظللت أنتظرك طوال النهـار فى المطبخ مع الخادمة . ولقد نسيت مرة أخرى ذلك الحصـان الآلى الذى كان ينبغـى أن تحضـريـه لـى كل مسـاء ، وتقـولـين لى :

لا يجب أن تقول إننى خرجت ، وأنا أجيبك " كلا يا أماه لن أقول " **(صمت)**

الأم : لا يجب أن تؤدى أمامى مثل هذا المشهد الفاضح يا مارك .

مـــــارك : **(بنفس الصوت)**- كلا يا أماه .

(صمت أخر طويل)

الأم : لقد بكيت . فلا بد أن أضع المساحيق مرة أخرى . دعنى أنهض .

مـــــارك : **(بصوت الرجل الذى عاد إليه)**

كلا ، يا أماه .

الأم : دعنى إذن ...

مـــــارك : **(يقبلها ، يمسكها بقوة ، يتحدث إليها عن قرب شديد بصوت خفيض)** أماه ، أماه . ليس بوسعك أن تفقدينى هذا النصيب من السعادة . لن تلبثى الآن أن تقومى بمهزلة مشئومة سوف تصليك عذابا ، فتوقفى من تلقاء نفسك وأتيحى لى فرصة السعادة . كونى كما أطلب إليك أن تكونى وهذا أمر يسير للغاية . إننى أخجل من التحدث إليك ، وأرى جيدا أنك تخجلين من سماعى . ماذا تريدين ؟ ليست غلطتى ، إننا ننطق كلمات لا ينطقها الأبناء والأمهات . ولكن من الأفضل أن نقولها ، هذه الكلمات حتى ولو خجلنا منها . إن شيئا بالغ الثقل يقوم حائلا بيننا وربما كان ما بيننا من الحب لا يكفى لإزالته .

(لحظة ، ثم يتوسل ، برقة وبطء)
اهجريه ، يا أمها ... اهجريه . كونى أما كغيرك من الأمهات ، الآن وقد أصبحت عجوزا . ولن تلبث السن أن ترغمك على هذه التضحية ...

الأم : أنت مجنون !

مـــــــارك : اهجريه يا أماه . انظرى ، إننى لا أكاد أجرؤ على أن أتقدم إليك بهذاالرجاء المخجل ، فاستجيبى له .

الأم : **(متصلبة)** - فيم يهمك ما أفعله ؟

مـــــــارك : إننى أحب فتاة . ولا أريد لها أن تظل مجرد عشيقتى بمواراتى منها والكذب عليها كالأخريات . اسمحى لى أن تصبح زوجتى .

الأم : وماذا يمنعك ؟ هل تخجل منى ؟

مـــــــارك : إنه سائق والدها يا أماه .

الأم : وبعد ؟

(مارك ينتصب ، وينظر إليها)

جــورجــيت : **(تدخل)** سيدتى ، السيد مارسيل تحت . إنه فى حالة هياج شديد . يحطم كل شىء .

مـــــــارك : **(يحتجزها)** لا تنزلى يا أماه .

الأم : دعنى .

مـــــــارك : إننى أمنعك ، أتوسل إليك .

(تخلص نفسها وتخرج)

أوه ، صحيح ، إننى أبغضك ، إننى أبغضك !

(يظل بمفرده مع جورجيت التى تتضاحك)

جـورجـيت : تأخذ نصيبها . جاء دورها فقد كانت دائما تشتمنى وتهزأ بى .

مـــــارك : **(ينظر إليها ، تائها ، يتمتم)** - سامحينى يا أماه .

الأب : **(يدخل)** يبدو أن العلاقات بالغة السوء بين هؤلاء السادة والسيدات .

(يضحك)

مـــــارك : أيها العجوز الجبان !

الأب : الألفاظ الوقحة دائما .

مـــــارك : لو كنت عرفت كيف تسيطر عليها ، وتحتفظ بها . وتجعل منها زوجتك ، لما أصبحنا الآن فى هذه الحال .

الأب : صدقنى إن أردت . لقد كانت ألطف وأرق عروس يمكن أن يتصورها العقل . عام واحد فقط كان كافيا لكى تتحول إلى رجل .

مـــــارك : ولكن هل كنت تحبها ؟

الأب : **(بحركة)** - إننى أكرهها منذ زمن بعيد .

مـــــارك : هل أحببتها يوما ؟

الأب : ربما .

مـــــارك : **(يهزه)** - ما السر الذى جعلك لا تستطيع السيطرة عليها ؟

الأب : كان يلزمها لذلك عشرة من أمثالى . إنها كثيرة المطالب . ونحن فى أسرتنا متحفظون . وأنا رجل طيب ، عادل ،

مجتهد . بل إن عائلتى كانت تقول على إننى قديس .
لو كانت امرأة شريفة ، لأصبحت سعيدة معى بكل تأكيد .
عندما أفكر أننى كنت على وشك أن أتزوج " مارى
لوكوربييه " إنها الآن زوجة عالم آثار شهير . تذهب إلى
القداس كل صباح .

مـارك : **(جالسا ورأسه بين يديه)** – ولكنك ربما كنت تستحق
هذا الشقاء . أما أنا فلا .

الأم : **(تدخل شعثاء ، مذعورة)** – مارك ، هل معك نقود ؟

مـارك : أنت تعلمين جيدا أننى لا أملك نقودا .

الأم : من أين أستطيع أن أحصل عليها ؟ يلزمنى خمسة آلاف
فرنك ، فى الحال . قبل هذا المساء .
(الأب يحاول أن ينصرف فى الخفاء)
لا تخرج !

الأب : كيف ؟

الأم : لا تخرج . إنك تملك هذه النقود ، أنت . يجب أن
تقرضنى إياها .

الأب : أنا ، نقود ؟

الأم : أجل ، لا تكذب . فعندما كنت أقوم بأعمال البيت مع
جورجيت ، اكتشفنا ذلك القعر المزدوج فى منضدة
سريرك . أن لديك عشرة آلاف فرنك .

الأب : هل أخذتها ؟

الأم : كلا ، ولكن يجب أن تقرضنى منها الآن خمسة آلاف .

الأب : مستحيل .

(يريد أن يخرج)

الأم : لن تخرج . لابد من أن تقرضنى إياها ، فاهم ، لابد من أن تقرضنى إياها ...

(تمسك بسترته)

الأب : لكى تعطيها لعشيقك ؟

الأم : أجل ، لكى أعطيها لعشيقى ... لابد منها فى الحال . أنقذنى . ولسوف أقتصدها . لسوف أعمل وأجنيها . أقسم لك .

الأب : أه ، إنك تضحكيننى .

(يضحك وهو يحدث جلبة ، ضحكا مفتعلا)

الأم : أوه ،لا تضحك هكذا !

(يتوقف فجأة)

الأب : أنا ليس لى زوجة ! ولن أجرد نفسى من مالى لكى أمهر لك رجلا .

الأم : لقد سرقها من سيده . وإذا لم يحصل عليها قبل غد، فسيقبض عليه . لا أحد غيرى يستطيع أن يقرضه إياها .

الأب : ما أشد طيبتها . كيف تجد أمك يا مارك ؟ تطلب منى نقودا لتصلح ما أفسده اللصوص .

(يضحك)

الأم : لا تضحك ! لا تضحك ! إنك ترى جيدا أننى كالمجنونة وأننى أبكى .إنك تبغضنى وأنا أعلم ذلك . تريد أن تذلنى ،

تريد أن تنتقم لنفسك . فانتقم لنفسك . أذلني. انظر. إنني أركع على ركبتي . سأبيع المجوهرات والأثاث الذى أمتلكه . سأكتب إلى أختى لترسل إلى نقودا ، باختصار سأردها لك ، أقسم لك ! مارك ، قل له إننا سنردها له .

الأب : لا فائدة .

مـــــارك : انهضى يا أماه .

الأم : كـلا . لا أريد أن أنهض . أريد أن يقرضنى إياها . سأظل متعلقة بساقيه حتى يقرضنى إياها .

مـــــارك : (**ينهضها**) انهضى يا أماه .

الأب : (**يتوجه بوقار ناحية الباب**)

أحسنت صنعا . فإن دموعها ما كانت لتثنينى .

الأم : إننى أكرهك ! أكرهك ! دعنى يا مارك ، دعنى . أريد أن أنزع عينيه ! أريد أن أضربه ، أن أصفعه !

الأب : أمسكها !

الأم : هو ذاك . أصلح ياقتك ، ورباط عنقك . كن مهندما كشأنك دائما ! أما أنا فلست كذلك . إننى امرأة ضائعة كما تقول ، بلهاء ! انظر إننى أنزع صديرتى ، وألطم وجهى ، وأحول من الألم لأنك تمنع عنى هذه النقود .

مـــــارك : أماه .

الأم : دعنى !

الأب : (**بوقار**)

أنا خارج يا مارك .

الأم : أنا أبغضك ! ... أبغضك ! لسوف أحصل على العشرة آلاف فرنك التى تملكها . سآخذها منك ، فاهم ، سآخذها منك .

الأب : مارك ، أنت شاهد .

(يخرج)

الأم : **(تكرر وهى منبطحة)**

سآخذها ... ، سآخذها ...

مارك : اسكتى يا أماه .

الأم : سآخذها ... سآخذها ...

مارك : أماه ...

(يهدهد رأسها ، نظرته ثابتة . صمت طويل)

الأم : مارك ، قد يكون لك أصدقاء ... هذه الفتاة الغنية . اذهب واطلب منها أتوسل إليك .

مارك : لا ، يا أماه .

الأم : لا يجب أن تتخلى عنى . سيقبضون عليه . سيضعونه فى السجن . لن أراه بعد ذلك ... أو سيجد نقودا عند امرأة أخرى ويهجرنى . أجبنى يا مارك . هذه الخمسة آلاف فرنك سيقرضك أصدقاؤك إياها بكل تأكيد ؟

ولكن أجبنى . لم هذا الفم الحجرى وهاتان العينان الخزفيتان ، لماذا ؟

مارك : **(برقة)** – يجب أن نتركه ليقبض عليه ، أو ليجد النقود عند امرأة أخرى .

الأم : أوه ، لا تقل هذا ! أنت مـجنون ! أتريد إذن أن أصـبح مجرد خرقة ، خرقة بالية ؟

مــــــارك : **(دون أن ينظر إليها وهو يتعلق بمسند الكرسى)** أريد أن أعيش .

الأم : ليس هذا أنت . فشفتاك ليس بها هذا التكسُّر . وجبينك ليس به هذا الخط . مـــارك ، أنت طيب ، ولا تريد لى الشقاء ... انظر إننى أجثو فوق الأرض .

لن أطلب منك شيئا آخر ... سأرحل غدا ، إذا كنت تعتقد أننى سبب شقائك ... ولكن هبنى هذا النصيب الأخير من الحياة ...

مــــــارك : **(كالمجنون)** فى السجن ، مطرودا ، مختفيا .

الأم : لا يجب أن يحدث ذلك يا مارك . لا يجب !

مــــــارك : أنت الآن عجوز ولا تحبينه. أنا واثق من ذلك ... أما أنا فإننى شاب وأحبها .

الأم : أجل ، إننى عجوز ! انظر إلى. إنه آخر عشـاقى ، ذلك الذى أستجديه إياه . إن هاتين العينين لن تقاوما إلا بضع سنوات أخرى. وهذه التجعيدة سرعان ما سأعجز عن إخفائها تحت اللزقات . إننى لا أحبه ، كلا ، وربما لا يزال معى لمجرد المتعة . ولكننى بعد ذلك ، أعرف أننى لن أحصل على غيره، وقد مضى هذا . إننى لم أعش إلا من أجلهم .

مــــــارك : أسكتى .

الأم : كلا ! مادمت تريد أن تنتزع منى هذا الأخير فاعلم إنك إنما تنزع الحياة من أحشائى !

(تصرخ)

إننى لم أعش إلا لكى آخذهم بين ذراعى ، هل تسمعنى ؟

مــــارك : اسكتى . إننى أخجل .

الأم : أما أنا فلا أخجل أن أقول لك إننى لم أعش إلا من أجل الحب ، لأنك تشبهنى .

مــــارك : كلا .

الأم : بلى . إن هذه السعادة التى تسعى إليها بزواجك من هذه الفتاة الجميلة ، إنما هى حلم . لن تذوقها لحظة واحدة لأنك تشبهنى .

مــــارك : ليس هذا صحيحا !

الأم : هل تظن أننى لا أراك مع البنات اللائى يعملن عندنا هنا . إنك لا تزال تقاوم ، ولا تشعر برغبة إلا فيهن وفى بنات الشوارع .

مــــارك : كلا .

الأم : نعم . فحينما كنت لا تزال صغيرا ، كنت تشرد بصور فى جيبك . كنت تصيب نفسك بالأمراض . أما أنا ، فلم أكن مثل الأمهات الأخريات ، كنت سعيدة لأنك كنت تشبهنى .

مــــارك : **(يسد أذنيه)**

لا أريد أن أسمع ، لا أريد أن أسمع ، إنك تكذبين !

الأم : إنك تعرف ، أنت ، معنى هذا النداء الذى يمحو كل ما عداه . إن شعرى مستعار ، وأسنانى تتساقط ، وجسمى يتغضن . ولازلت أسمعه أشد مما كنت أسمعه فى شبابى . مارك ، افهم معنى أن يدرك الإنسان أنه لن يلبث أن يصرخ فى الفراغ ، وافهم بأى ظمأ يشرب المرء آخر دقائقه فى الحياة ... أبوك خرقة بالية ، وحتى لو لم يكن يكرهنى ، فلن يستطيع أن يدرك . يجب أن أقضى عليه لكى آخذ منه هذه النقود . ولكن أنت الذى تدرك كل شىء دبر لى هذه الخمسة آلاف فرنك حتى لا تحل النهاية إلى الأبد ، ألا تحبنى ؟ ربما أكون قد تسببت فى شقائك دون إرادتى ولكننى اعتنيت بك وواسيتك ، وأنقذتك من آلاف الأخطار التى تتربص بالطفولة . فنظير هذه الحياة التى وهبتك إياها ودافعت عنها ضد الموت ... دعه لى شهرين آخرين أو ثلاثة حتى ولو حال هذا بينك وبين سعادتك .

مـــــــارك : **(وقد ضغط على أسنانه وبدا وجهه غارقا فى الدموع)**
– كلا .

الأم : إنك مازلت تملك شبابك كله . ولسوف تدرك معنى هذا حينما يصبح الأمر آخر مرة ...
(صمت)

مـــــــارك : **(متعلقا بالكرسى)** – أريد أن أعيش .
(صمت آخر)

الأم : **(تنظر أمامها فى ثبات . تدمدم)** – إننى وحيدة تماما .

جــورجــيت : (**تدخل**) سيدتى ,هل أسلق نبات الفطر الذى أحضره سيدى للظهر ؟

(صمت . لا يجيبان . تتضاحك قليلا . ثم تقول)

سيدتى ، نبات الفطر الذى أحضره سيدى هل أسلقه ؟

الأم : **(ترفع رأسها شاردة)**

نبات الفطر ؟

جــورجــيت : أجل . نبات الفطر الذى جمعه سيدى .

الأم : أجل .

جــورجــيت : إن سيدتى تحسن صنعا لو قامت بتنقيته . فإننى لست متأكدة من بعضه . وفى الحقيقة ، أنا أعتقد أن سيدى لا يفهم فيه كثيرا .

الأم : أجل .

(تنهض وتخرج كمن يسير فى أثناء النوم . جورجيت تنظر إلى مارك)

جــورجــيت : سيدى مارك ، هل ستأتى هذه الليلة ؟ إننى أضيق وحدى فى حجرتى ...

(لا يجيب . تنتظر لحظة ثم تخرج وهى تهز كتفيها)

مـــــــــارك : **(يكرر آليا)**

أريد أن أعيش ...

تسدل الستارة

الفصل الثانى

الديكور نفسه

الأم : هل تأكدت من منضدة السرير ؟ هل بحثت فى القعر المزدوج ؟

جورجيت : أجل ، مرتين .

الأم : لماذا خرجت بهذه السرعة ؟

جورجيت : خيل لى أنه تحرك .

الأم : ما أغباك ! وهل نظرت تحت المرتبة .

جورجيت : لقد قلت لك . اذهبى وانظرى أنت بنفسك .

الأم : لا أستطيع ، فإنهم يراقبوننى .

(تقضم أظافرها)

القذر ، القذر .

جورجيت : لا ينبغى أن نتحدث عن ميت بهذه الطريقة .

الأم : أين يمكن أن يكون خبأها ؟

جورجيت : اسألى سيدى مارك . لابد وأنه يعرف .

الأم : إنه يغضبنى ، أكثر من الآخرين .

جــورجــيت : ما الذى يجب عمله ، يا سيدتى ؟

الأم : جورجيت ، لا تتركينى ، قولى شيئا ، افعلى شيئا .

جــورجــيت : لا أستطيع أن أبحث ؛ فهم فى الحجرة .

الأم : كان عاشقا لك . أو كان يتصل بك ، كان يطاردك . من المؤكد أنه قال لك شيئا يمكنك أن تهتدى به .

جــورجــيت : لا شىء يا سيدتى . إن سيدى لا يثق بى .

الأم : من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء !

جــورجــيت : على كل حال ، لا ينبغى أن تعكر سيدتى دمها . فليس هناك ما يخشى مع وجودى .

الأم : جورجيت ، اذهبى إليه مرة أخرى . أخبريه بأنها مسألة ساعات ، دقائق . وإننى سأحصل على هذه النقود ، واطلبى منه ألا يرحل مع الآخر ، سيكون لى ، أنا . سيكون لى بكل تأكيد .

جــورجــيت : يجب أن تعترف سيدتى بفضلى فى كل هذا . فباختصار ، دونى ...

الأم : أجل ، خذى .

(تعطيها نقودا)

جــورجــيت : ليس هذا كثيرا .

الأم : خذى ثانية . وسوف أعطيك ما وعدتك به ، عندما أجد هذه العشرة آلاف فرنك .

جــورجــيت : هل أطلب منه أن يأتى إلى هنا ؟

الأم : أجل . اطلبى منه أن يأتى .

(جورجيت تخرج)

الأم : **(تبدأ بالبحث داخل قطعة أثاث ، بهياج . تسمع وهى تهمهم)**

من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء ! (١)

(شقيق الزوج ، وأخته وابنة عمه ، يخرجون مع مارك من الحجرة الملاصقة . تتوقف الأم ، وتمر أمامهم دون أن تنطق بكلمة ، وتخرج)

الأخ : لقد تعذب كثيرا .

ابنة العم : هل نتعذب كثيرا من نبات الفطر ؟

الأخ : أنا أتحدث عن العذاب المعنوى ...

(دخلوا جميعا)

مارك ، لقد عدنا إلى هذا البيت الذى لم ندخله منذ عشرين عاما ، لكى نُحيىَ الجثة العزيزة . وسنعود غدا لكى نأخذها ونصحبها إلى مثواها الأخير . كان يحبك وأنا أعرف أنك كنت تحبه أيضا . لقد كان حنانك يعزيه دائما خلال حياة الشهيد التى عاشها . إن الكلمة ليست أكبر من اللازم .

ابنة العم : كلا .

الأخ : كان يقول لنا ذلك والنحيب يختلط بصوته . ليس لى فى الوجود سواه .

(١) تقصد أنها قتلت من أجل لا شىء .

الأخـــــت : ونحن .

الأخ : ونحن . بعد مواراة الجثة . لن نجتاز هذه العتبة بطبيعة الحال . ولكن يجب أن تأتى لزيارتنا .

مـــــارك : أجل .

الأخ : نحن عائلتك ، عائلتك الوحيدة .

(صمت)

مارك ، كان والدك يمتلك بعض المدخرات . ففى صباح موته وكأنه كان يتوقعه ...

(ابنة العم تتنهد)

الأخ : **(ينظر إليها ويكمل)** – وكأنه كان يتوقعه ، ولما كان لا يعلم طبعا بما يمكن أن يحدث فى مثل هذه الحال ، جاء ليسألنى أن أحفظ له هذه العشرة آلاف فرنك . فقد كان يثق فىَّ ثقة لا حدود لها

إن كل ما كان يخصه يؤول إليك الآن . سأعدُّ لك هذا المبلغ .

(يخرج الأوراق المالية ويسلّمها لمارك)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة ، تأكد من ذلك .

مـــــارك : لقد عددتها .

الأخ : تأكد يا مارك ، فإن والدك كان يشدد على ذلك ، فقد كان شكاكا بطبعه .

الأخـــــت : مسكين يا أدريان .

(صمت ، فى أثنائه يعيد مارك عدّ الأوراق بسرعة)
أما بخصوص المدفن ، فأنا لا أريد أن نتصل " بشوشارد " إن زوجته لا تحبينى كما يجب . ما رأيك يا مارك ؟

مـــارك : الأمر يستوى بالنسبة لى .

الأخـــت : كان أبوك سيوافقنى ، فهو لم يكن ليرضى ألا تُقدَّم للعائلة واجبات التقدير والاحترام .

(صمت)

الأخ : كان قديسا .

ابنة العم : أجل .

الأخ : يجب أن تذكره يا مارك طوال حياتك وأن تحاول التشبه به .

(مارك لا يجيب)
أنت كبير الآن . وتعلم أى حياة زوجية عاشها مع أمك . ولقد بقى معها رغم كل شىء ، من أجلك . بقى حتى لا تقع تحت السلطة المفردة لتلك التى كانت تلطخ شرفه، وحتى يربيك طبقا للمبادئ التى ظلت دائما مبادئنا . هذه حقيقة لا يمكن أن تنساها .

(صمت)

الأخـــت : أردنا أن نقول لك ذلك قبل رحيلنا .

ابنة العم : أجل .

(صمت)

الأخ : هل ستواصل الحياة مع أمك يا مارك ؟

مـــارك : طبعا

الأخـــــت : بعد كل ما قاساه منها .

مـــــــارك : لقد قاسى . ولكن أنا قاسيت كذلك . وهى أيضا بلا شك .

الأخـــــت : لا تحنَّ لها ، يا مارك . فكر فى ذلك الذى يرقد إلى جوارنا . لقد خانته بطريقة تبعث على الخجل . بلا حياء . كانت تتعلق بأذرع الرجال . وذات مرة شاهدوها مع أحد عمال الميناء .

مـــــــارك : أجل .

الأخ : لقد أعيته بشرورها اليومية ، تلومه على أتفه متعة ، بينما تنفق هى نقود البيت فى تقديم الهدايا لعشاقها .

مـــــــارك : أجل .

الأخ : ورغم هذا كله كانت لا تكف عن الرد على اتهاماته بمثلها ... لقد كانت توجه إليه التهم طول حياته . دون أن تدرك ، مع أنانيتها الفظيعة ، إنه كان قديسا . لأنه بقى معها ! سامحنى . إن الغيظ يقطع كلامى . كان أولى به أن يطردها . أن يضربها بالسوط . أه لو كنت أنا .

الأخـــــت : لقد كنا نحب أباك ونحترمه يا مارك . كان أخانا الأكبر . وهو الذى كان يقوم مقام والدنا .

ابـنـة الـعـم : كان دائما طيبا ، دائما رقيقا .

الأخـــــت : لقد علَّمنا القراءة ، وعلمنا كيف نكون شرفاء مثله .

الأخ : وكنا مضطرين أن نراه يقاسى طوال حياته مع هذه المرأة . أولم تقاسى أنت فى حياتك ، مما كان يقاسيه ؟

مـــــــارك : بلى ، بل لقد كرهتها بسبب ذلك . فى سن السادسة عشرة . أما الآن فقد أدركت أنها كانت امرأة مسكينة هى الأخرى .

الأخ : امرأة فظيعة ! امرأة متوحشة !

الأخت : مارك ،لا ينبغى أن تبقى معها . ما دام قد مات الآن بسببها . فيجب أن تلقى هى فى النهاية جزاء ما أذاقته له من عذاب. يجب أن تتركها يا مارك .

مارك : لم أعد أستطيع أن أتركها .

الأخ : هل تظن أنها ستصلح ؟ إن هذه المخلوقات لا تصلح أبدا . سيكون بوسعها بعد ذلك أن تعيش حياتها ، تلك الحياة الشهيرة التى طالما أرادت أن تحياها .

الأخت : نحن نعلم أن هذا أمر عسير بالنسبة لك يا مارك . واعلم أنها لم تكن أمك فى يوم من الأيام ! إنها لم تعش إلا لعشاقها ، إن " أدريان " هو الذى كان يصحبك للنزهة يوم الخميس ، وهو الذى يرعاك حينما كانت تخرج فى المساء . وهو الذى كان يجعلك تؤدى صلاتك ، ويرقدك وينومك حتى لا تبكى لغيابها ، لم تكن شيئا بالنسبة لك . لقد اقتصر دور الأم بالنسبة لها على تمشيط شعرك وإلباسك سروالا جميلا لكى تصحبك معها تتمشيان فى الطرق المظللة بالأشجار .

مارك : (**يتوسل إليها**) أنت تكذبين .

الأخت : اذكر الليالى والكوابيس التى كنت تعانيها ، ومخاوفك إذ كنت طفلا ... أى وجه كنت تراه منعطفا على وجهك ؟

مارك : وجهها ! لأننى كنت أنتظره دائما . كنت دائما أريد أن أراه !

الأخــــت : أجل ، هو ذاك ، وجهها فى الحلم . ولكن فى الحلم فقط . فشفتاها اللتان كانتا من المفروض أن تعزياك بدلا من أيدى الخادمات الخرقاء . كانت فى ذلك الوقت تهبهما لرجل .

مــــارك : (**يتوسل إليها**) اسكتى .

الأخ : لو كنت تشعر بأقل حنان نحوها ، لما كلّمناك بهذه الطريقة . فأية أسباب تجعلك تحبها ، ما دمت قد عرفت حقيقتها .

(مارك لا يجيب)

الأخــــت : ثم إننا لا نخبرك بشىء لا تعرفه مسبقا . إن واجبك واضح .

مــــارك : كلكم ضدها .

الأخ : لقد عادت الجميع . وسخرت من جميع القيم ومن كل الواجبات .

مــــارك : ربما كانت تحبهم .

الأخ : لم تكن حتى تحبهم ! وأنت تعلم أنها تسببت فى فضائح كثيرة . فلا يمكن للمرء أن يعيش مثل هذه الحياة بلا عقاب. عندما كانت تحين اللحظة كانت تضحى بهم بالقسوة نفسها التى كانت تضحى بها بأبيك . إنها وحش .

(مارك لا يجيب ، رأسه بين يديه)

الأخ : مارك . سأحدثك كما كان سيحدثك ذلك الذى لم يعد له وجود . ففى صباح اليوم الذى مات فيه ، جاءنا – كانت هذه آخر فرصة له ، ذلك المسكين – جاء ينقل إلينا خبر

هذا الزواج العظيم الذى عهدت إليه بسره . هل تعتقد أن أصهارك الجدد سيعترفون بهذه المرأة ، بهذه الفاجرة ، بهذه ...

مـــــــارك : اسكت .

(صمت . ينهضان)

الأخ : كما تحب ، يا بنى .

مـــــــارك : أعرف أنكم على صواب ، غير أننى مع ذلك قد رأيتها ، فى الصور وهى فى تلك السن التى جاء يطلبها فيها من والدها . كانت فتاة فى السابعة عشرة تفيض بالحياة ، رقيقة . يمكن أن تجعلها تؤمن بكل شىء وتحب كل شىء ...

الأخـــــت : فى ذلك الوقت ، لم يخطر ببالنا ما كانت ستصبح عليه !

مـــــــارك : كان قديسا ، كان زوجا رائعا ، ولكن هل سألتم أنفسكم مرة عما قدَّمه لها عوضا عن الحلم الذى كان يداعبها فى الحياة ؟

الأخ : لقد قدم لها الفرصة لكى تكون امرأة شريفة .

(جورجيت تمر ، ارتدت معطفها استعدادا للخروج ، ترمقه بنظرة وهى تصلح من هندامها فى أثناء عبورها أمام المرآة . ينظر إليها وهى تخرج)

مـــــــارك : ليس بوسعكما أن تدركا ذلك .

الأخـــــت : أخشى فى الواقع ألا تكون لغة حديثنا واحدة .

الأخ : المسألة الآن بالنسبة لك مسألة حياة أو موت. فإما أن تصبح رجلا وتتركها لمفاسدها ، وإما أن تبقى شخصا خائبا فاشلا تدور فى فلكها .

مـــــــارك : من الفظاعة أن نقتل شخصا لكى نعيش .

الأخ : إنك شاب ، أنت .

مـــــــارك : أجل .

الأخـــــت : لا تشفق عليها ، فهى لم تشفق على أحد ... وعندما تحتاج إلى النصيحة فاذكر عائلتك الحقيقية .

(تقبله . يتوجهان ناحية الباب)

ابـنـة الـعـم : **(مذعورة)** واللآلئ ؟

الأخ : صحيح . لقد رأيت ، بدل الزهور الطبيعية التى تذبل وتكلف غاليا ، أنه يجب أن نضع فوق قبر " أدريان " شيئا يدوم . لقد أوصيت " بريجو " بإحضار إكليل من اللؤلؤ ، تتقاسم ثمنه كل العائلة . كان المرحوم سيوافقنى على ذلك .

(يخرجان . يظل المسرح خاليا لحظة. الأم تدخل ، تسرع إلى إحدى قطع الأثاث ، تبحث . تكرر كالطفلة)

لابد من أن أعثر عليها . لابد من أن أعثر عليها .

الأم : **(تمر لحظة . تعتدل وقد فترت همتها ، تمرر ذراعها فوق جبينها)**

من أجل لا شىء ! يا إلهى ! من أجل لا شىء . أجل من أجل شىء .

(تذهب إلى قطعة أثاث أخرى)

لقد أغلقها .

(تجرب بعض المفاتيح . تشد . تنفخ . تخدش أصابعها . تُسمع وهى تتأوه ...

تأخذ سكينا وتحاول فتح المزلاج بالقوة .

بسرعة ، بسرعة ، بسرعة ... آى !

(تجرح أحد أصابعها ، تمصه ، تلفه بمنديل وتعاود الكرة . وفجأة ينفتح الدرج . تطلق صيحة فرح ، وتنقب . تلقى بأوراق فوق الأرض فى هياج وأخيرا تسقط آخر خطاب ، تظل بلا حراك . تنظر حولها)

لا يوجد شىء بالمرة .

(تتداعى، وتجلس القرفصاء، وتبدأ فى جمع الأوراق واحدة واحدة . وفجأة تعثر على صورة فتنظر إليها مليا ، تداعبها بأصابعها ، تسوى شعرها ، وتمسح عينيها تبتسم لها)

مارك ، حفظتها ؟ حفظت هذه الصورة ! ومع ذلك فقد بحثت عنها ولم تشأ أن تخبرنى أنك تحتفظ بها هنا مع خطابات شبابك ، كأنها صورة صديقتك ...

(لحظة)

صديقة ، أكمام ثوبها منتفخة عند الأكتاف . هل تكن لى إذن بعض الحب ، يا صغيرى ؟

(صمت)

هذا ممكن مع تلك ، أما أنا ؟

(تذهب إلى المرآة ، تتطلع إلى نفسها دون أن يتحرك على وجهها . وفجأة تمزق الصورة دون أن تنظر إليها . وعندئذ تبتسم فى المرآة ، تمط شفتيها تدير رأسها قليلا . تدلك تجعيدة)

لماذا ؟ لقد كنت نحيلة ، تبدو علىَّ البساطة . كنت كذلك !
ما أسهل ما كنت أعتقد فى الأمور ... والآن ؟
(تضع ذقنها على قبضتها ، تنظر إلى نفسها ، تبدو عليها القسوة . تهز كتفيها . يدخل مارك)

مـــــارك : ماذا كنت تفعلين هنا ؟

الأم : كما ترى . أنظر إلى نفسى .

مـــــارك : إنه وحيد تماما .

الأم : أجل لقد كنت فى أغلب الأحيان تتركنى وحيدة ، أنا التى على قيد الحياة .

(يهز كتفيه ويهم بالانصراف . يرى الصورة الممزقة . يجمعها)

مـــــارك : لماذا مزقت هذه الصورة ؟

الأم : لا أحبها .

مـــــارك : ولكن أنا أحبها ، لماذا ؟

الأم : هذا من حقى . إنها صورتى . أليس كذلك ؟

مـــــارك : **(يصرخ)** كلا !

(صمت ، ينظر كل منهما للآخر)

الأم : **(بتؤدة)** ولذلك فقد مزقتها .

مـــــارك : **(يعود فجأة إلى ركن المنضدة . يعيد تكوين الأجزاء . ويدمدم . موجها كلامه إلى الصورة)**

أماه ...

الأم : إننى أبغض نفسى فى هذه الصورة ! كنت أفضل لو لم أكن فى يوم من الأيام تلك الفتاة البلهاء الوادعة التى وافقت على الزواج منه .

مـــارك : أماه .

الأم : **(تتحدث إلى الصورة التى يمسكها مارك حتى لا تمزقها ثانية)** ألم تكونى ترين إذن ، أيتها البلهاء ، أنه خرقة بالية ؟ كانت أسنانك بيضاء وكان جسدك غضا . وكان بوسعك أن تعثرى على شاب فى العشرين قوى يجعلك تعيشين الحياة . ولكنك كنت غبية ، ولم يكن فى بطنك شىء ! ولماذا لا أكون شابة الآن ؟

(صمت طويل)

إننى لم أصبح بعد على درجة كبيرة من القبح ، أليس كذلك يا مارك ؟

مـــارك : **(يتحدث إليها الآن فى رفق)** كلا يا أماه .

الأم : سترى الآن ، عندما أرفع رولات الشعر ، طبعا أنا فى هذا المئزر أبدو كالمجنونة . يجب أن أشترى ثيابا وردية بمجرد أن ينقضى هذا الحداد، وأحصل على أشياء بديعة . سنقوم ببعض التضحيات . أما بخصوص الحفل ، فقد أوصيت على معطف عند " لانجلوا " .

مـــارك : أجل ، يا أمى .

الأم : بصراحة يا صغيرى مارك ، لو كنت شابا آخر ، هل كنت أروقك ؟

مـــــــــارك : ولكن ... لست أدرى يا أمى .

الأم : دعك من هذا أيها الأبله ! يجب أن نكون الآن صديقين كبيرين . يحكى كل منا أسراره للآخر . مارك أنا لست عجوزا ، أليس كذلك ؟ سيعود حتى لو لم أعطه هذه النقود ؟

(مارك ، وقد ضغط أسنانه ، لا يجيب . الأم تبتسم لنفسها وتواصل الغنج أمام المرآة)

إننى أبدو كالمجنونة لأن أعصابى هائجة . لقد أرسلت إليه جورجيت وقد تأخرت .

مـــــــــارك : هل أرسلت جورجيت ؟

الأم : ومن ترى أن أرسل ؟

مـــــــــارك : ولكن هذا مستحيل يا أماه . فلن يلبثوا أن يعرفوها . لقد انتهيت ...

الأم : وأنا أيضا أنتهى إذا لم يأت .

(جورجيت تدخل)

الأم : **(تقفز نحوها)** – آه ، إنها هى ! هل رأيته ؟ أين هو ؟

جـــورجـــيت : لقد رحل يا سيدتى ، ولم يترك عنوانه .

الأم : أين رحل ؟ هل ترك أسياده ؟ هل غادر المدينة ؟

جـــورجـــيت : لم يترك عنوانه . وقد أخذ معه حقيبته .

الأم : ولم يترك خبرا ؟

جـــورجـــيت : أبدا .

الأم : هل أنت متأكدة ؟

جــورجــيت : مادمت أقول لك ذلك ؟

(تظـل الأم بـلا حـراك . وبدون أن تقـول شـيئـا . مارك لا يتـحرك أيضـا ولكنه يتنفس بعمق . عـلامة فـرح تغـير وجـهه شيئا فشيا . وفـجأة يسرع فـي السير كالمجنون خلال الحجرة . يذهب إلى النافذة ، يفتحها على سعتها ، يستقبل الهواء والشمس اللذين يدخلان .)

جــورجــيت : لم تأت أمس . ومع ذلك فلم يكن هناك مـــا يمكن أن يضايقنا .

مـــــــــارك : **(وهو يكـاد يصـرخ فـيـهـا)** – لن آتـى أبدا ! لن آتى ما حييت . إنني أهرب منك أنت أيضا ، اغربي عن وجهي .

(يلقى بهـا خـارجـا ، ثم يعـود إلى سـيره . إنه في سن العشرين . سيعيش مع تلك الفتاة الجميلة التي يحبها ، ينبغي أن يقول هذا لشخص ما ، يهـم أن يقوله . يحجم .)

مـــــــــارك : أماه ... أماه ... أماه ...

(يمسكها من كتفيها ليعلنها بهذه الفرحة العظيمة ، ينظر إليها ، يتوقف . صمت)

سامحيني يا أمي .

الأم : **(بسأم بالغ)** – ماذا كنت تريد أن تقول لي ؟

مـــــــــارك : **(بصـوت خـفيض)** – كنت أريد أن أقـول إنني سـعيـد . سامحيني .

(يتـواجـهـان ... لا يجرؤ أحـدهمـا على النظر للآخـر. تأتي حركة سوقية مألوفة لديها لتجفف يديها في مئزرها . وهو

يلومها عادة على ذلك . يأتى حركة لا يكلمها . كلمة لا تخرج من بين شفتيه . تشمشم ، تذهب إلى الزجاجة وتصب لنفسها كأسا تشربها ، ثم تصب كأسا أخرى .)

مـــــــارك : أماه .

(تواصل الشرب دون أن تجيب)

أماه ، لا يجب أن تشربى بهذه الطريقة .

الأم : **(نافرة)** – دعنى !

(تواصل الشرب ، وتذهب لتجلس بعيدا . صمت) ومع ذلك فكان لابد أن يحدث هذا .

مـــــــارك : لا يجيب ...

الأم : **(بقسوة ، وبحركة من كتفيها كما فعلت قبل قليل)** – دعنى !

(صمت آخر)

أما هذا فلم يكن إلا من أجل المال. أما الآخرون فربما للحصول على امرأة لأننى لم أكن أطلب منهم شيئا . لأنه كان من الأسهل الذهاب إلى البيوت . كان هذا سهلا . كان الوضع دائما لا يختلف ، ومع ذلك فهذه المرة ، هو الأخير . أنا الآن عجوز . لن يرغب فىَّ أحد ، حتى ولو كان ذلك أسهل . حتى البائعين المتجولين بين القطارات يجب أن أدفع الثمن .

(تقف أمام المرآة)

فلأدفع نقدا حتى يرغبوا فى هذه العجوز .

(تمسح شفتيها بطرف كمها ، كالمجنونة)

بلهاء ! بأحمرها وبرولاتها لكى تكون جميلة . لم أعد الآن فى حاجة إلى "رولات " لم أعد فى حاجة إلى فرد شعرى .

(تنزع رولاتها وتلقى بها فى الحجرة)

آه ! أيتها الخصلات الجميلة !... آه ! أيتها الصبغة الإيطالية الشقراء التى تصبحين حمراء لأنك رخيصة الثمن . تستطيع خصلاتى أن تصبح كما تشاء الآن .

مـــــــارك : إن الشعر الأبيض جميل يا أماه .

الأم : أما شعرى فأصفر . أصفر قذر . ويمكنه أن يظل أصفر بشعا ويتدلى كما يحلو له فوق تجاعيدى .

(تدعك وجهها)

فلا أحمر ، ولا أبيض ، ولا أسود . كعجوز ، عجوز دميمة قذرة يتركونها فى ركن من الأركان دون أن يقولوا لها شيئا .

(تلتفت)

فلتسعد الآن . هكذا كنت تريد أن ترانى ؟

مـــــــارك : أماه .

الأم : (تمسك بالزجاجة) سأكون أكثر هدوءا . سأصنع لنفسى أطباقا صغيرة وسأشترى مشروبات روحية أحبها . وسأقرأ الطالع .

مـــــــارك : إنك تعذبيننى يا أماه !

الأم : لا ينبغى ذلك . ربما كنت أنت على حق ، فقد كانوا يسخرون منى ، ولم تكن بى رغبة شديدة تدفعنى إليهم. كان هذا نوعا من العادة ، كعادة الشرب.

(تأتى على كأسها دفعة واحدة)

مـــــــــــارك : إنك تسرفين فى الشرب .

الأم : دع لى هذا على الأقل . كنت تفضل أن أكون عجوزا ، تحب الحلوى كما يفضل غيرى . وربما كان هذا أليق بى .

مـــــــــــارك : لماذا تقولين هذا ؟

الأم : سأحاول أن أحب الحلوى وأحيك الجوارب حتى تكون مسرورا ... سأربى دجاجا وأرانب ، وأصادق عجائز مثلى ، أذكر معهن الآخرين بالسوء .

مـــــــــــارك : إن كل ما تقولين يبعث على السخرية .

الأم : أجل ، أجل . سأحصل على هذا كله . وإذا تزوجت أنت ، مادمت تريد أن تتزوج ، فسأكون خادمة لزوجك ، سأنزه أطفالك لو قبلت هى أن تقوم أنت بإيوائى ...

(تنهار فجأة وهى تنتحب)

أوه ! ليس هذا صحيحا ... ليس هذا صحيحا . ماذا فعلت إذن طوال هذه الفترة ، ماذا جنيت حتى ينتهى ذلك الآن ؟ ليتنى أملك ذكرى لحظة من السعادة الحقه . لحظة من الحب أو الحنان . ولكن لا شىء ! لا شىء غير حركاتهم ، وأيديهم ، وشفاههم يفتر تلهفها عاما بعد عام ! حتى ذلك الذى ذهب مع امرأة أخرى ، لأننى لم أستطع أن أعطيه هذه النقود ...

(لحظة)

مارسيل ، هو الأخير . يجب أن أتذكر هذا الاسم . مارسيل !

(صمت)

لقد فزت يا مارك . أنا عجوز ، وليس لى عشاق . وسأصبح امرأة كريمة فلا تستمر فى هذا العناد . وليكن أحدنا على الأقل سعيدا ...

مـــــارك : لماذا يجب أن يكون أحدنا سعيدا ؟

الأم : **(بعد صمت . بصوت خفيض)** - لأنك تبغضنى .

مـــــارك : إننى أحبك يا ماه .

الأم : أنك تبغضنى وتخيفنى منذ اليوم الذى لم تعد فيه طفلا صغيرا ، يقول لى كل شىء . إننى أذكر ذات مساء . كنت فى الحادية عشرة . وكنت قد عدت من المدرسة بادى الإصرار . رفضت أن تلعب معى ومع الكلب كالعادة . كنت وادعا و رزينا طوال المساء والأيام التى أعقبته ، ولكنك كنت تقبلنى وشفتاك مضمومتان .

مـــــارك : إن ذاكرتك قوية . إنه ذلك المساء .

(لحظة)

فاتنى موعد دخول المدرسة . فقابلتك مع رجل فى الطريق .

(صمت طويل)

الأم : هل شقيت لذلك ؟

مـــــارك : هل تسألينني ؟

الأم : لم كن أدرى ، لقد كنت صغير جدا .

مـــــارك : لقد كنت دائما تظنين أننى صغيرا جدا . حتى بعد ذلك .

الأم : وأنا أيضا كنت بائسة بسبب شفتيك المضمومتين . وبدأت أخشاك .

مـــــــارك : وبدأت لا أقول لك شيئا .

الأم : كنت أعتقد أنك تكرهنى . وأنك تفضل أباك على . آه ! لماذا لم تخبرنى فى ذلك اليوم بما كان يشقيك ؟

مـــــــارك : كنت أشعر أن الأطفال لا يستطيعون أن يتحدثوا فى هذا الأمر إلى أمهاتهم . وفضلا عن ذلك فلم أكن أدرى معنى ذلك بالضبط . ثم حتى لو كنت أخبرتك كنت ستظنين أننى طفل . وكنت ستستمرين فى ذلك الطريق .

الأم : لم أكن أحبهم .

مـــــــارك : وذات مرة ، رأيتك مع رجل تشيكىّ يسكن عندنا . رأيتك ، فاهمة ، رأيتك داخل حجرتك .

الأم : مارك ...

مـــــــارك : ولابد أن ذلك كان السبب الذى جعلنى أخشى الحب زمنا طويلا .

الأم : مارك ، وهذا أيضا لم أكن أحبه . كان يضربنى . ولم أكن أحبهم ، لم أكن أحب سواك. ولكنك لم تكن تتحدث معى أبدا ، كنت تتركنى وحيدة مع أبيك الذى كان يبغضنى وأبغضه . لو أنك كنت تقول لى كلمة واحدة ...

مـــــــارك : لقد كنت تحبين الجنس .

الأم : ربما ليس ذلك أيضا .

(لحظة)

كنت بكل بساطة أخشى أن أظل بالقرب من ذلك الميت . كان دائما على صواب وكان يضحى دائما . ولكنه كان

ينغص حياتي كل يوم بمسائل نقوده ... كان لابد أن أهجره ، وأن أستمع إلى صوت آخر وأن أشعر بذراعين وجسد يفيض حياة بالقرب منى ، جسد يضحك ، ويتعذب ، ويتكلم وينفق نقوده ، باختصار جسد يتحرك ... ألا تفهمني ؟ ألا تفهم أننى كنت ميتة تريد أن تمسّ الأشجار والدواب والأحجار الدافئة ؟

مـــــارك : **(بعد لحظة صمت ، ورأسه بين يديه)**

بلى ، إننى أفهم .

الأم : لم أكن أذهب معهم فى أغلب الأحيان إلا لكى يكون أحد إلى جوارى ، لكى أفر من ذلك الجسد الهزيل ، من ذلك الصوت الأجوف ، من تلك الحسابات التى كان يقوم بها حتى خلال أحلامه . الحب ؟ أوه أجل - لكم كنت أتوق فيه وأنا صغيرة ...

مـــــارك : ألم يحبك أحد فى حياتك ؟

الأم : أبدا . كنت أبحث . كنت أبحث عن رجلى بين جمع هؤلاء الرجال ، ولكننى طبعا لم يكن بوسعى أن أجده بينهم ... لو لم تعد ذات مساء بجبين بادى الإصرار ، ولو أنك تحولت بكل وداعه من طفل صغير إلى رجل بين ذراعى ، فلربما بقيت بالقرب منك . فلابد وأن الأخريات يفعلن ذلك . ولكنت أصبحت جميلة فى نظرك . ولأبكيتنى ، ولأسعدتنى ولما شعرت بحاجة إليهم .

(لحظة)

وكانوا مع ذلك يتشاجرون معى بسببك ، فقد كنت أدعوهم باسمك عندما أكون شاردة الذهن .

مـــــــارك : صحيح ؟

الأم : وعندما كنت تمرض ، كنت لا أقابلهم حتى ولو توسلوا إلىَّ . وعندما كنت تسرف فى البكاء ، كنت أعود بسرعة . انظر ، لقد كنت أفعل كل ما أستطيع .

مـــــــارك : (**يكاد يبتسم**) – كل ما تستطيعين .

الأم : لماذا تبتسم ؟

مـــــــارك : لماذا لم أوت القوة التى أستطيع بها أن آخذ بين ذراعى هذه الطفلة الكبيرة، هذه الطفلة العجوز ؟

الأم : تسخر منى ! ليس هذا لطيفا منك .

مـــــــارك : كلا ، إننى أنصت إليك . إننى أتصور أنك أمى وأشعر أننى عجوز .

الأم : لم تكن أبدا مثل الآخرين . فعندما كنت صغيرا ، كنت رزينا وواثقا من نفسك كالرجال .

مـــــــارك : كان ينبغى ذلك . هل كنت ، أنت ، واثقة من نفسك ورزينة يوما واحدا فى حياتك ؟ هل كان هو رجلا مرة واحدة ؟

الأم : (**تنتفض**) – لا تحدثنى عنه . هل تعتقد أنه تعذب يا مارك ؟

مـــــــارك : لقد قال الطبيب ذلك .

(تذهب إلى المرآة . تنظر إلى نفسها ، تجذب خصلاتها فوق عينيها)

الأم : هل عثرت على نقوده فى منضدة السرير ؟

مـــــارك : لقد عهد بها إلى أخيه . ولقد أعطانى إياها قبل لحظة .

الأم : آه !

(صمت . لاتزال تنظر إلى نفسها فى المرآة . فجأة تسرع إلى مارك . تتعلق به ، تركع وتتشبث بركبتيه)

لن تهجرني يا مارك ؟ لن تهجرنى ؟ لن تدعنى وحيدة تماما ؟

مـــــارك : أعدك بذلك

الأم : إننى أريد أن أكون عجوزا ، ولكننى لا أريد أن أكون عجوزا وحيدة فى بيت ، تعيش مع أفكارها . لابد لى ممن يتحدث معى ، ويثير الضوضاء من حولى ، ولكن لا ينبغى أن أترك وحيدة ، ولو للحظة واحدة .

مـــــارك : لسوف نكون كثيرين حولك يا ماه . وقد يصبح هناك أطفال يثيرون الضوضاء .

الأم : أوه . ولكننى لن أستطيع أن أراها ، هى ! فلسوف تكرهنى .

مـــــارك : كلا . سوف تحبك . إنها تعلم كل شىء .

الأم : ولكننى دميمة ضخمة . قبيحة لا أهتم بنفسى ، كما تعلم .

مـــــارك : سنشترى لك أثوابا تليق بك ، سننظم كل شىء هنا . فيجب أن تكونى فى هيئة حسنة .

الأم : كنا سنصير على ما يرام وحدنا . لماذا تريد أن تذهب معها ؟

مـــــــــارك : لأنها هي أول من بين لي أنه من الممكن أن يجد الإنسان كتفا يستند عليها ويستريح . وأنه من الممكن ألا نظل أبدا ننقذ الآخرين. ونفكر في الآخرين .

الأم : لا أريد أن أراها .

مـــــــــارك : قد أنغص عليك بدورى قليلا ، ولكننى أريد أن أقو لك هذا . لقد عذبتنى وأخجلتنى وجعلتنى أحبك وأبغضك كامرأة . لقد كنت بالنسبة لى امرأة تزوجتها منذ مساء أكتوبر ، وتخوننى . لقد حللت مكان جميع النساء . لم أستطيع أن أكون غرا معهن مرة واحدة ، وأن أسعد لكونى غرا . كن يتعجبن أن يرين شابا فى العشرين يعرفهن إلى هذه الدرجة الكبيرة . أما وضعى مع " جاكلين " فكان على النقيض من ذلك ، فقد اكتشفت معها هذه القوة الهادئة ، هذه الطيبة البسيطة التى يستطيع الإنسان أن يخبئ فيها رأسه ، فى المساء ، حينما يستولى عليه الشر أو يتملكه الجبن الشديد . إننى أتمنى لو تفهميننى : إننى أحبك ولكننى أعاملك على أنك طفلة أتوقع منها دائما نزوة لا تلبث أن تشقينى . طفلة لا أستطيع أن أؤنبها لأننى لا أملك الشجاعة . لكى أراها تبكى ... إننى معك عجوز حزين . أما معها فعلى النقيض من ذلك ، أستطيع أن أكون طفلا ، أنا، لأول مرة فى حياتى .

(يقف . يصيح بهذه الكلمات الأخيرة بسعادة بادية على وجهه ، كما حدث قبل لحظة . صمت . الأم تنقبض ، تعيد شعرها على عينيها . تجاعيدها تغور)

الأم : إنني أكرهها .

مـــــارك : لا ينبغى ذلك يا أماه . لسوف تحبينها ، أنا واثق من ذلك فهى جميلة .

الأم : وأنا قبيحة ، أنا !

مـــــارك : إنها طيبة ، تعرف كل شىء . ولسوف تساعدك على الخلاص .

الأم : وأنا شريرة . لا أريد لأحد أن يخلصنى .

مـــــارك : ستكون وادعة صبورة . إنها تعرف العبارات والنظرات التى نجهلها والتى تقتل الشكوك والأفكار الخبيثة .

الأم : أريد أن أظل فى ركنى كما أنا . مادمت تخجل منى ، مادمت وحشا ، أريد أن أظل هنا ، لا أقوم أبدا ، ولا أتحرك أبدا ، ولا أفكر أبدا وبخاصة لا أفكر أبدا .

مـــــارك : ماذا بك ؟

الأم : لا أريد أن أراها ، تلك التى تتمتع بجميع الخصال الحميدة . فسأخفيها .

مـــــارك : لماذا تريدين أن تعذبينى مرة أخرى ؟ سترينها . سنكون سعداء معا وأنا واثق أنك ستكونين جدة طيبة .

الأم : **(ساخرة)** أنا جدة ؟ ...

مـــــارك : لماذا تتخذين هذه الهيئة البغيضة . إنك تحبين الأطفال الصغار .

الأم : **(ساخرة)** لقد قتلت منهم الكثيرين .

مـــــــارك : أماه . أتوسل إليك . يجب أن تكونى سعيدة معى ، لكى تمنحينى الحق فى أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : أنا ، جدة ... حينئذ ستكون لدى قصص جميلة أحكيها لأولادك ، قصص تميتهم من الخوف .

مـــــــارك : أماه ...

الأم : إننى أطلب منك ألا تمسنى .

مـــــــارك : لماذا ؟

الأم : فإننى أنفرك . وأخجلك وأبعث على اشمئزازك !

مـــــــارك : ولكنك مجنونة يا أمى . أقسم لك أنك لن تبعثى على اشمئزازى أبدا .

الأم : **(تصرخ فيه)** – لو قلت لك ...

مـــــــارك : ماذا ؟

الأم : لو قلت لك . وغفرت لى لأصبح كل شىء ميسورا .

مـــــــارك : ولكن ، ماذا ؟

(صمت)

الأم : لا شىء . أنا مجنونة . أنت على حق .

(صمت آخر)

مـــــــارك : إننا لا نستطيع أن نظل على هذه الحال ، وهذا الحرج يقوم بيننا . ماذا كنت تريدين أن تقولى ؟

الأم : يبدو لى أنه قد يتوقف عن تحريك ساقيه وإدارة عينيه ، لو كنت معى. كان هذا يحدث دائما . فما إن كان يشعر بك معى ، حتى يخاف .

مـــــــارك : عمن تتحدثين ؟ وممن تريدين أن أحميك ؟

الأم : منه .

مـــــــارك : ولكنه الآن ميت .

الأم : أجل إنه ميت .

(صمت)

مـــــــارك : فماذا ؟

الأم : لا شيء يا مارك . إنني لا أدرك ما أقول .

(تشرب . ينظر إليها دون أن يقول شيئا . صمت طويل)

الأم **(تهم بالخروج)** سأذهب لأرتدى ثيابا أليق من هذه .

مـــــــارك : **(يوقفها)** – أماه .

الأم : ماذا تريد ؟

مـــــــارك : لقد كنت تكرهينه ، ومع ذلك فإن تلك الحياة الطويلة المشتركة قد خلقت بينكما نوعا من العادة ؟

الأم : ربما

مـــــــارك : حينما كان يتعذب ،حينما كان يصرخ أمس فى سريره ، هناك ، كنت ...

(ينظر إليها)

إننى مجنون .

الأم : أجل ،إنك مجنون ، دعنى .

(تتقدم خطوة)

مـــــــارك : أماه .

(تتوقف)

كنت تكرهينه ، ولكنك فى الواقع كنت لا تتـــمنين له مكروها ؟

الأم : لست أدرى .

مــــــارك : ففى تلك الكراهية ، كان هناك جانب من التبرم ، من الحقد على حياتك الفاشلة ، وليس عليه هو ؟

الأم : كلا ، عليه هو ؟

مــــــارك : ومع ذلك . فحينما كان يمرض كنت تعنين به فى كل مرة .

الأم : صحيح ! لقد اعتنيت به . إن مكافحة الأمراض ،عملية انعكاسية ،لا إرادية .

مــــــارك : كان من الممكن أن تكرهيه . ولكنك لم تكونى تتمنين له هذه الآلام المبرحة التى قاساها .

الأم : الآلام ، لا .

مــــــارك : ولا موته أيضا .

الأم : كلا . لقد كنت دائما أتمنى له الموت .

مــــــارك : ليس هذا صحيحا يا أماه . وإلا لما اعتنيت به فى كل مرة كنت تفعلين ذلك وحينما كان يتأخر فى الرجوع مساء ، كنت تشعرين بالقلق فى بعض الأحيان . فقد كنت تخشين أن يقتل نفسه من الإرهاق .

الأم : **(بابتسامة رهيبة)** لأننى كنت أخاف من الدم ، من الجثث . ولكننى كنت أتصور الجنازة ثم الحرية ... حريتى !

مــــــارك : أوه ! إنك فظيعة .

الأم : لقد قلت لك ذلك .

مـــــــارك : ولكن أية مصلحة ، وأية سعادة يمكنك أن تنتظريها من وراء موته ؟ فقد كنت حرة وكان بوسعك أن ترحلى منذ زمن بعيد .

(لا تجيب)

من الممكن أنك كنت تتمنين موته كما كنت أتمنى أنا موت عشاقك . دون أن نؤمن بذلك كثيرا .

الأم : **(تمرر يدها فوق جبينها)**

أجل ، ربما . دون أن نؤمن بذلك كثيرا .

مـــــــارك : انظرى ، ما كان ينبغى ذلك . لقد جاء الموت من تلقاء نفسه ، والآن تشعرين بالخوف لأنك كنت تتمنَّينه .

الأم : أجل .

مـــــــارك : **(يمسكها)**

أيتها الأم العجوز المسكينة ! لا ينبغى أن تشعرى بالخوف ، فربما كان هو أيضا يتمنى موتك . يجب أن تحاولى أن تكونى سعيدة . بلا أفكار شريرة .

الأم : أجل . بلا أفكار شريرة .

مـــــــارك : إنك بالقرب منى . لا تخشين شيئا ؟

الأم : ألن تهجرنى يا مارك ؟

مـــــــارك : نعم لن أهجرك ، يا أماه .

(صمت)

الأم : هل صرحوا بدفنه ؟

مـــــــارك : أجل . منذ لحظة . لماذا تسأليننى عن ذلك ؟

الأم : أبدا . كنت أريد أن أعرف . فلما كانت هناك حالة تسمم ، فقد كان بوسعهم أن ...

مـــــــارك : كان بوسعهم ... ماذا ؟

الأم : لا شيء . إجراء تحقيق .

مـــــــارك : لماذا ؟ لقد عثروا على أثار نبات الفطر الذى تسبب فى الوفاة إنه أصفر صغير ، ومفعوله مدمر . الحالة واضحة ؟

الأم : أصفر صغير ؟

مـــــــارك : أجل . أصفر صغير . مسكين والدى العجوز كان يعتقد أنه من المستحيل أن يصاب بنبات الفطر .

الأم : كان دائما يعتقد أنه لا يُهزم . كان يلقن الآخرين دروسا عن كل شىء .هو الذى لم يكن قادرا على شىء ... كان يُذعر عندما نقترب من حصاده . ومع ذلك . فكان يجب فى كل مرة أن أقوم أنا بتنقيته . ياللغباء .

مـــــــارك : هل قمت بتنقيته أول أمس ؟

الأم : كلا . لم أفعل ذلك أول أمس . كنت ثائرة الأعصاب . بل إننى لم أدخل المطبخ . ويمكن أن تخبرك جورجيت بذلك .

مـــــــارك : ومع ذلك ، فإنى أتذكر الآن أنها جاءت تبحث عنك لكى تطلب منك أن تقومى بتنقيته . وكانت تقول إنها غير متأكدة من جمعه .

الأم : لا أذكر ذلك . لابد وأنك مخطئ .

مـــــــارك : حينما جاءت تبحث عنك . ذهبت أنت معها .

الأم : أنا لم أدخل المطبخ .

مــــــــارك : (**يصيح فجأة**) – ولكن لماذا تقولين ذلك ؟ لقد نزلت أنا بعد ذلك .
فرأيتك بعينى فى المطبخ ...

الأم : مادمت لا تريد أن تصدقنى ، فلا تصدقنى .

مــــــــارك : ولكننى أريد أن أصدقك يا أماه . أريد ذلك بكل قواى . ينبغى أن أصدقك ، ولكن لا تقولى كذبا ، كذبا لا يجدى .

الأم : إننى لا أقول كذبا .

مــــــــارك : لا تلحى ، أتوسل إليك . إن الأمر بسيط جدا . فلماذا هذه الكذبة التى يمكن أن تجعلنى أظن الظنون الخاطئة ؟

الأم : لم أكن فى المطبخ ، قلت لك .

مــــــــارك : ولكننى رأيتك يا أماه ! مررت من باب الحديقة ، واجتزت الحجرة ، كنت أسرع وكنت أنت هناك ، عن يمينى .
(**يصيح**)
أماه لقد كنت أمام المنضدة ! إننى أستعيد منظرك الآن . كنت تقومين بتنقية نبات الفطر هذا ؟

الأم : أنت تكذب .

مــــــــارك : ولكن لا تقولى هذا ! الأمر بسيط بكل تأكيد . وأنت تعلمين تماما أننى لا أفكر فى اتهامك بشىء ... من الممكن جدا أن تكونى قد انتقيت نبات الفطر شأنك فى المرات الأخرى ، ولم تعرفى الفاسد منه . هو ذاك ، أليس كذلك؟ هو ذلك ؟ أنت لا تعرفين .

الأم : أجل ، أنت على حق لم أكن أعرفه .

مـــــــارك : هو ذاك ،هو ذاك . فـأنت لم تشـاهـديه . لقـد أخـبـرنى الطبيب أنه يوجد منه كمية ضئيلة جدا فى الإقليم . وأنه يوجد بنوع خـاص فى مناطق الألب . فى مسقط رأسك . فإذا كنت رأيتيه فلم يكن ذلك إلا هناك ، فى الماضى . إنه صغير أصفر ، صغير جدا ...

(يتوقف ، مذهولا . ينظر إليهـا . صمت طـويل جدا ، لا يكاد يهمهم)

لقد قلت لى قبل برهة إنـه أصفر صغير . إذن فقد رأيته ؟ كنت تعـرفـينه ومع ذلك فلم تتعـرفيـه . لقـد أسـأت تنقـيـة نبـات الفطر ، ولذلك فـأنت تشـعـرين بـالخـجل ... كنت مريضة ، شاردة ؟ ولكن أجيبينى ، أجيبينى بـ " أجل " !

الأم : لم أعـد أدرى ، يا مـارك . إننى أفـقـد صـوابى أمـام هذه الأسـئلة التى توجـهـها إلى . لا تسـألنى عن شىء . إننى فى غاية الشقاء ، فى غاية الضياع . صحيح إننى طفلة ، إننى طفلتك الصغيرة بدورى . فدونك أكون وحيدة تماما . أنت الذى كنت دائما تنقذنى من كل شىء . فـخـذنى بين ذراعيك كما فعلت قبل لحظة . أتوسل إليك .

(تجلس القرفصاء عند ركبتيه)

مـارك ! أريد أن أكون جدة كمـا وعدتنى . أريد أن أكون عجوزا طيبة ، مستقيمة . جدة لها حفدة. لن يخـافونى ، أقـسم لك . سـوف أضـحكهم ولسـوف ألعب مـعـهم لعبـة الطبلة والكلب ، كما كنت أفعل معك حينما كنت صغيرا .

ماذا تريد أن تسألنى ؟ لماذا أسئلتك تخيفنا نحن الاثنين ؟
مارك ، أريد أن أكون سعيدة كما وعدتنى ولا أفكر فى شىء .

مـــــارك : لماذا لم تحسنى تنقية نبات الفطر ؟

الأم : لم أعد أذكر . لقد قمت بتنقيته كالمرات الأخرى . أؤكد لك .

مـــــارك : لماذا لم تلقى بالفاسد منه ؟

الأم : لأننى لم أكن أعرفه يا عزيزى ! هذا أمر بسيط . ماذا تريد أن تعرف أكثر من ذلك ؟ صدقنى .

مـــــارك : أريد ذلك يا أماه . أريد أن أصدقك . ولكنه نبات فطر من مناطق الألب . وكنت فتاة فى ذلك الريف . وقد رأيته .

الأم : أقسم لك أننى لم أره .

مـــــارك : أنت ترين جيدا أننى لا أستطيع أن أصدقك ! فقبل برهة ، قلت لى إنه كان أصفر صغيراً .

الأم : قلت ذلك ، أجل . ولكن ذلك لأننى لابد وأننى سمعت الطبيب يقول ذلك . أجل هو ذاك ، هو ذاك . لقد سمعت الطبيب يقول ذلك . لا داعى للبحث لا داعى أبدا للتساؤل . مارك ، خذنى بالقرب منك ... تبحث ثانية ؟ ماذا إذن تريد أن تعرف ، لكى نتعذب نحن الاثنين ؟

مـــــارك : الحقيقة . وسأعرفها : ولو كانت أرهب حقيقة .

الأم : لا ينبغى ذلك يا مارك ، لا ينبغى !

مـــــارك : **(ينادى)** جورجيت .

الأم : مارك . أتوسل إليك . إن حياتنا يمكن أن تصبح سعيدة لو شئت ... أقسم لك إنك أخطأت ، نحن ضحيتان

لملابسات فظيعة ، لأسرار لا نعرف كيف نهرب منها .
لا يجب أن تسأل أكثر من ذلك .

مـــــارك : جورجيت .

الأم : مارك . كلا . يا مارك ، أنت شاب ، طيب . وستحصل على هذه الفتاة الجميلة التى تشبهك كثيرا . فاسعد ، ودعنى أنتهى فى هدوء ، دون أن تسألنى عن شىء . فما جدوى ذلك الآن ؟ قل ما جدوى ذلك ؟

مـــــارك : جورجيت .

(تدخل)

جورجيت . أنت . ألم تكونى متأكدة من نبات الفطر الذى جمعه والدى أول أمس ؟

جـورجـيت : كلا ، يا سيدى مارك .

مـــــارك : هل قمت بتنقيته ؟

جـورجـيت : أنا لا أفهم شيئا .

مـــــارك : وسيدتك هل قامت بتنقيته ؟

(جورجيت لا تجيب)

أجيبى .

(جورجيت تنظر إلى الأم)

الأم : أجيبى يا جورجيت ! فقد كنا معا . كما تذكرين . وقد تخلصت مما اعتقدت أنه فاسد .

جـورجـيت : لقد ألقيت ببعضه . هذا صحيح .

مـــــارك : هل لاحظت بعضا منه كان أصفر صغيرا فى الطبق الذى قدمته إلى والدى ؟

جــورجــيت : زهور سقوط .

مـــــــارك : زهور سقوط ؟

جــورجــيت : هكذا نسميها فى بلدتنا .

مـــــــارك : هل كنت تعلمين أنها سامة ؟

(صمت)

الأم : **(تندفع نحوها)**

جــورجــيت ، أظن أنك لن تكذبى الآن ؟ وتقــولى إنك أخبرتِنى بذلك . ليس هذا صحيحا !

مـــــــارك : دعينا .

(يدفعها بحركة عنيفة)

لو سمحت ، أجيبى ، هل كنت تعرفين ؟

الأم : كلا ! لم تكن تعرف !

مـــــــارك : هل كنت تعرفين أيتها الفاجرة ؟

(يلوى رسغها)

جــورجــيت : آى !... إنك تؤلمنى .

مـــــــارك : سأظل ألوى حتى تجيبى !

الأم : ولكن لماذا تريد أن تجيبك ؟ ستكذب .

جــورجــيت : آى ! آى ! آى ! أجل . كنت أعرف .

(يتركها . صمت طويل . الأم ، منبطحة تكرر آليا)

الأم : إنها مجنونة ... إنها مجنونة ... إنها مجنونة ...

مـــــــارك : لماذا قدمته له مادمت كنت تعرفين ؟

جــورجــيت : **(تصمم فجأة)** – إنها سيدتى التى أمرتنى بذلك . قالت لى إنها ستعطينى خمسمائة فرنك حينما تحصل على العشرة آلاف فرنك .

(مارك لا يتحرك . الأم تصبُّ لنفسها لكى تشرب دون كلام)

جــورجــيت : **(تدعك رسغها)** – لقد أخبرتك أنت بذلك . ولكننى سأسكت من أجل الشرطة . إنه الآن سر بيننا نحن الثلاثة .

(صمت آخر)

لن أذيعه أبدا ، بكل تأكيد . كل ما هناك أنه يجب إعطائى الخمسمائة فرنك . ويجب أن يكون سيدى مارك لطيفا معى .

مــــــارك : **(يصرخ فجأة كالمجنون)**

جاكلين ! جاكلين ! أنقذينى .

تسدل الستارة

الفصل الثالث

الديكور نفسه

(مارك فى فراشه . نائم . الصباح . الشيش مغلق . شعاع من الشمس . الأم تجلس القرفصاء أسفل السرير . تتطلع إلى مارك دون حراك . هناك إحساس بأنها فى هذا الوضع منذ فترة طويلة. صمت طويل . مارك يتقلب فجأة وهو نائم ، ينكشف ، تغطيه ، ينكشف مرة أخرى)

الأم : تغط إذن . مالك تضطرب ؟ لابد أنك تحلم أحلاما مزعجة . والذنب ذنبى.

(مارك يمرر ذراعه على جبهته عدة مرات)

أطرد هذا الكابوس ، اطرده ... آه تبتسم الآن ، لابد أنك لم تعد تفكر فىَّ . هذا أفضل .

(تشرب وتعود إلى حلمها)

أنت جميل وأنت نائم . كم ستكون سعيدة معك ، تلك الفتاة . أنت تعرف كيف تسوِّى أمورك بكلمة واحدة وتتغلب على كل المشكلات . تنفذ كل شىء بنظرة

أو بإيماءة . ما أجملك وأنت نائم . لم أكن أدرى يا حبيبى ، لم أكن أدرى . كنت أبحث كالبلهاء بين الرجال . لو كنت أعرف ...

(صمت طويل . يتحرك)

هذه أخر مرة تنام فيها فى سريرك الصغير . أصبحت تفزع منى وستذهب إلى حال سبيلك . آه ليتك توافق على البقاء هنا معنا . قليلا فقط ... حتى لا يكون عثورى عليك وفقدك فى يوم واحد .

(صمت)

إنك حتى لا تجروئين على أن تطلبى منه ذلك ، أيتها الأم البلهاء. أم جميلة .

(تشرب)

بهذه الكئوس الصغيرة وهذا البرنس .

(جورجيت تدخل)

(الأم تشير لها بألا تحدث ضوضاء)

ما يزال نائما .

(صمت)

جورجيت : ومع ذلك فعليك أن تصلحى من هندامك قليلا ، وأن تنظفى نفسك على الأقل ، وتمشطى شعرك .

الأم : فيم يفيد ذلك ؟

جورجيت : هكذا تستطعين الإبقاء عليه .

الأم : لم أعد أملك طريقة للإبقاء عليه . ولم أوت طريقة على الإطلاق . لوكان صغيرا ، فربما حاولت أن أتحدث إليه ، أما الآن ...

جـــورجـــيت : ومع ذلك فيستحسن أن تنظفى نفسك وأن ترتدى ثوبا .

(لا تجيب . تشرب)

وألا تشربى بهذه الكثرة .

الأم : لا تضايقينى ، أنت الأخرى ؟

جـــورجـــيت : ومع ذلك فليس هذا أمرا عاديا ، أن تهمل امرأة نفسها وتشرب بهذه الطريقة .

الأم : دعينى وشأنى .

جـــورجـــيت : إذا أردنا أن نثير إعجاب الرجال فعلينا بالنظافة . هذا هو الشرط الأول .

إننى أعرف تماما أن هذا أمر ليس مسليا دائما ... ثم إنك تستيقظين متأخرة عنى . فلديك الوقت .

الأم : لا أريد أن أثير إعجاب الرجال .

جـــورجـــيت : هذا كلام .

الأم : لقد انتهى الأمر.

(صمت)

جـــورجـــيت : والسيد مارسيل هذا – كان مع ذلك يبدو محبوبا .

الأم : ربما . لست أدرى .

جـــورجـــيت : كان حسن الهيئة . ليس كسابقه . وحينما كنت ترسليننى إليه برسالة كان يحاول أن يقترب منى . الرجال كلهم متشابهون . أنا لا أقول ذلك لكى أغضبك .

الأم : ليتك تعلمين أن هذا لا يهمنى .

جــورجــيت : أما بخصوص السيد مارسيل فقد كان الأمر مفاجئا . ومن شأن هذا أن يحدث صدمة حينما تكون الواحدة منا متعلقة .

الأم : يحث صدمة ، أجل . وبعد ذلك نكف عن التفكير فيه .

جــورجــيت : يجب أن نبقى عليهم دائما . فما إن نتركهم حتى يذهبون . إن منهم من يسهل الإبقاء عليهم .

(تنظر إلى مارك بقسوة)

الأم : إنه جميل ، أليس كذلك ؟

جــورجــيت : (**ببرود**) أجل . ولكنه يؤلم . إنه ماجن . ثم إن الأمر معه لم ينته .

الأم : (**بالقرب من السرير**) وأنت أيضا يا صغيرى تعلم أن الأمر لم ينته ؟

جــورجــيت : علما بأننا لو كنا نصده فى تلك الأوقات ، لقتلك .

الأم : (**تكرر**) لقتلك ... ولا تريد أن تصفح عنى ...

(صمت . تنظر إليه)

إنه جميل . أليس كذلك ؟

جــورجــيت : (**كما فعلت قبل برهة**)

أجل

الأم : سيرحل غدا . يريد أن يعود إلى الأخرى .

جــورجــيت : كلا . سيرحل بمفرده .

الأم : هل أخبرك بذلك ! متى ؟

جــورجــيت : هذه الليلة .

الأم : هل كنت هنا ؟

جـــورجـــيت : أجل .

الأم : هل استبقاك ؟

جـــورجـــيت : أجل .

الأم : هل كان يرغب فيك ؟ هل كان ...

جـــورجـــيت : أجل .

الأم : وأخبرك ! وأخبرك بما سيفعله ؟ إذن فهو يثق فيك ؟ إذن فهو يحبك ؟

جـــورجـــيت : **(تهز كتفيها)** إننى أعجبه . وسينقضى ذلك .

الأم : لو أنك ، يا جورجيت ، تجعلينه يبقى ؟

(تهز كتفيها)

مـادام يريد أن يرحل بمفـرده . مـادام لن يعـود إلى الأخرى ، فهذا ممكن .

جـــورجـــيت : ربما .

الأم : جورجيت ، أنك تستطعين أن تجعليه يبقى إذا كان يرغب فيك . اجعليه يتعلق بك أكثر . اجعليه لا يستغنى عنك . حينئذ لن يقوى على الرحيل .

لماذا لا تردين على ؟

جـــورجـــيت : إنه شبه مجنون . إنه يعذبنى .

الأم : ولكنك سعيدة معه . هل تحبينه ؟

جـــورجـــيت : كلا .

الأم : سأعطيك مالا إذا أبقيت عليه .

جـورجـيت : كلام . إنك حتى الآن لا تستطعين أن تعطينى الخمسمائة فرنك .

الأم : سأبيع بعض الخواتم . سأعطيك إياها .

جـورجـيت : إنه يعذبنى .

الأم : ذلك لأنه يحبك ،أيتها الصغيرة البلهاء، جورجيت . إذا رحل فعلى السلام، إننى وحيدة مع جثة الآخر الذى يلاحقنى . وأنا الآن غير قادرة على حب الرجال الآخرين . إنه هو الذى كنت أنتظره يا جورجيت . إن احتفاظنا به ، وعدم بقائنا وحيدتين فى هذا المنزل ، أمر يرجع إليك أنت . ألا يهمك هذا الذى أقوله لك !

جـورجـيت : أنا أستطيع العثور على آخرين .

الأم : ليس فى جماله ولا فى طيبته .

(تصرخ)

جـورجـيت : حذار . فستوقظينه .

الأم : **(برقة)** ليس فى قوته ، ليس فى رقته ...

جـورجـيت : إذن ، يجب أن تزيدينى . فقد عرض على أكثر .

الأم : سأزيدك . أعدك بذلك .

جـورجـيت : تزيديننى مائة فرنك ؟

الأم : أجل . مائة فرنك .

جـورجـيت : ثم إن العمل هنا شاق .

الأم : ستنزلين متأخرة . وسأصحو أنا أولا . وسأقوم بالأعمال التى تضايقك إذا بقيت .

جـورجـيت : (**بارتياب**)
ستغسلين الآنية ؟

الأم : أجل ، سأغسل الآنية . انظرى إليه ، أيتها الصغيرة البلهاء . أتظنين أن بوسعك أن تعثرى على عاشق آخر كهذا ، أو يحبك مثله ؟

جـورجـيت : إننى كما تعلمين أفضل لو أحبنى أقل من ذلك ...

الأم : لا تقولى هذا ! إنك بلهاء . هذا لأنك طفلة . لابد من أنك تعرفين كيف تسعدينه وتصبحين سعيدة . يجب أن تعرفى . تضايقينه ، تعذبينه ، يكون فى قبضتك .
(**صمت ، تمرر يدها فوق جبينها**)
سأعلمك .

جـورجـيت : أجل ، فأنت تجيدين ذلك ، أنت .

الأم : (**دون أن تسمعها**) – ما فائدة ذلك ؟ المهم أن يبقى ... سأعلمها .

جـورجـيت : كل ما هناك أنه يجب عليك أن تساعيدينى . فلو أنك دفعته إلى الرحيل كلما نظر إليك ، فإننى لا أضمن شيئا .

الأم : سأصلح من هندامى .

جـورجـيت : إذا كان يحبك عجوزا ، فلا يجب أن تقاومى . فإننى أتركه يفعل بى ما يشاء . لا ينبغى أن نتعب أنفسنا فى محاولة الفهم .

الأم : أنت على حق . سأفعل ما يريد . سأمارس التمرينات الرياضية .

جـــورجـــيت : الشرب هو الذى يزيد وزنك .

الأم : لن أشرب أبدا .

جـــورجـــيت : هناك أشياء كثيرة فى هذا البيت لا تعجبه . فأنا أعرفه .

الأم : سنقوم بعلاجها كما تريدين .

جـــورجـــيت : أجل . يجب طاعتى فى كل أمر إذا كنت تريدين أن ننجح فى الإبقاء عليه هنا .

الأم : سأنفذ كل ما تريدين .

جـــورجـــيت : حسن . سأسخن لك ماء . أولا سأحمل هذه الزجاجة .

الأم : خذيها .

(جورجيت تخرج)

سأعلمها يا مارك كيف تصنع . وسوف ترى . ستكون سعيدا . ستبقى يا حبيبى . وحينما تملها سنبحث لك عن أخرى . لكى تبقى معنا ...

(لحظة صمت ، تتأمله)

مـــــــــــارك : **(يفيق من النوم)**

أنت هنا ؟

الأم : نعم .

مـــــــــــارك : **(فى اللحظة التى لا نذكر فيها شيئا)**

جـــورجـــيت : أولا، يجب أن تكونى نظيفة . وأن تتركى هذا المئزر. وأن تلبسى جوارب.

(تلمس بطنها)

تقللى وزنك .

مـــــــــارك : صباح الخير يا أماه . كنت أحلم .

الأم : صباح الخير يا صغيرى ...

(تهم بالاقتراب)

مـــــــــارك : **(بقسوة)** آه ! اعتقدت أننى كنت أحلم . هل أعددت حقيبتى ؟

الأم : ليس بعد .

مـــــــــارك : سأقوم وأعدها بنفسى .

الأم : نم خمسة دقائق أخرى وسأعدها لك ، كما أعددتها لك حينما ذهبت لقضاء الخدمة العسكرية .

مـــــــــارك : كلا .

الأم : هبنى هذه المتعة يا مارك . فما عسى يكلفك هذا ؟

(يسقط على السرير من جديد . تبدأ هى)

هل ستأخذ جميع المناديل ؟

مـــــــــارك : أجل ، جميعها .

الأم : وجميع القمصان ؟

مـــــــــارك : أجل .

(صمت)

الأم : ألن تعود إذن ؟

مـــــــــارك : بلى .

الأم : سترحل معها ؟

مـــــــــارك : لا تكلمينى .

(صمت)

إننى مضطر لأخذ نصف هذه النقود لكى أعيش فى انتظار أن أجد عملا .

وسأرسل إليك بها . أما الباقى ففوق المدفأة ، تحت إناء الزهر ويمكنك أن تفعلى به ما تشائين .

(صمت)

الأم : أنت تكرهنى ؟

(مارك يهز كتفيه)

قبل أن تعرف بخمس دقائق ،كنت تأخذنى بين ذراعيك ، وكنت تحبنى .

هذا لأنك عرفت ذلك .

(صمت)

لو أنك قرأت هذا فى قصه ،لأفزعتك تلك المرأة التى تقتل لكى تعيش مرة أخرى .

(لا يجيب)

كلا، أليس كذلك ؟ طالما سمعتك تقول هذا لأصدقائك . لا يجب أن نحيا إلا للحب ، يجب أن نحطم كل شىء ، وأن نتغلب على كل شىء . إيه حسن . فهذه هى الحياة للحب كما ترى .

(لا يجيب . صمت)

وعندما تكون امرأة عجوزا فإننا لا نغفر لها .

مـــــــــارك : لا تكلمينى .

الأم : أوه ! دعنى على الأقل ، أكلمك ، دون أن تجـــيـــبنــى . فعندما سترحل سيقضى على بصمت أبدى .

مـــــــــارك : تكلمى إذا شئت .

الأم : **(بعد أن عملت لحظة فى صمت)**
أنت على ما يرام فى سريرك الصغير ، أنت تعرف جميع أركانه الآن لقد اشتريناه معا من مدخرتنا رغما عنه ، فقد كان يريد أن تحتفظ بسرير عمك القديم المصنوع من الحديد . قبل زمن بعيد كنا نتآمر معا .

مـــــــــارك : قبل زمن بعيد . أجل .

الأم : وأمس . حينما تحادثنا ، رأيت أن ذلك يتكرر مرة أخرى . لطالما تمنيت أن تعطينى الفرصة لأشرح لك قبل أن ترحل .

مـــــــــارك : كلا ، لم أعد أريد أن أفكر فى ذلك . أريد أن أمحوه من حياتى بوجهه الأخضر ويديه اللتين فوق بطنه ، وأمحوك من حياتى ، أنت أيضا وأصبح بعد ذلك يتيما ، يتيما بلا ذكريات .

الأم : كنت أرجو فقط أن تعرف كيف حدث هذا بسرعة . لقد كنت دائما أتمنى دون أن يخطر ببالى أننى سأقتله . وفى ذلك اليوم رأيت نبات الفطر الأصفر الذى لم أكن متأكدة منه . فأنا لم أجمعه . بل إننى حتى لم أحاول أن أعرف إذا كان ساما فعلا . لقد تركته ، هذا كل ما فى الأمر .
(صمت . تنظر إليه)
إنك تستطيع أن تغفر لى ، أنا أعرف ذلك . ولكنك تعرف هذا الظمأ، وهذا الضباب الذى يغطى العيون ... تعرف أننا من الممكن أن نخاطر بحياتنا فى لحظة واحدة .

(لا يجيب)

هل تريد مع ذلك أن تأخذ الصورة ؟ الصورة التى كنت تحبها . لقد لصقتها من جديد .

مـــــــــارك : هاتها .

(تخرجها من صديريتها)

الأم : لقد لففتها فى ورقة حتى لا تتهلهل .

(صمت . تنظر إلى الصورة . تحلم)

أمر فظيع أن يكون ذهابك الآن بالذات وقد كان كل شيء قد بدأ يصبح جميلا . " لا مجال للتوافق والمبادلة " . ربما أحببتنى أنت ، حينما كنت أذهب معهم . كنت تتألم ، وكنت أتغابى . آه ! لو كنت تعلم ماذا كانوا ، وماذا أخذت منهم ... لقد فات الآوان . " لا مجال للتوافق والمبادلة " إنها أغنية كنت أسمعها حينما كنت شابة .

(تحاول أن تغنى)

" ومع ذلك فلا مجال للتوافق والمبادلة "

" يذهب الحب حينما يأتى الحب " .

إننى أغنى نشازا . بين الأمهات والأبناء فى العادة ، يكون ثمة توافق ومبادلة . وبعد ذلك فأنت شاب ، يجب أن تعيش . وأنا عجحوز .

(تجلس القرفصاء كما فعلت قبل برهة بالقرب من السرير . تتناول كأسها التى كانت فوق الأرض وتأتى عليها)

لن تمنعنى بعد ذلك من الشرب . لقد أرادت جورجيت قبل برهة أن تقدم لى الموعظة . طلبت منى أن أغتسل ، وأن أصلح هندامى حتى لا أنفرك كثيرا ، وتتولى هى الباقى ، هى . هل تحبها ؟

مـــــــارك : كلا .

الأم : إنك ترغب فيها . إن ظمأك ليس إلا لها ، ولكنك أكثر منى مكرا وأكثر منى تدبيرا . فلن تبيع حياتك بثمن بخس نظير فعلة . لسوف تتزوج من فتاتك ،الجميلة . وسيكون لك أطفال على قدر من الجمال . ولسوف تخرس كل هذه الأصوات القذرة التى تصرخ فينا داخل بطوننا ... أنت على حق . يجب أن يكون الإنسان جادا شريفا . ولابد من أنه بذلك يصبح سعيدا .

(تشرب)

أما أنا فقد فات الآوان ، حتى لكى أصبح جدة . وأما أنت فوضعك أفضل . إن ما أريده هو ألا تسرف فى بغضى . لقد كنت قاسيا – كما تعلم – لا تتنازل عن حقك فى بعض الأحيان كوالدك ، كالآخرين ...

أنت ! وربما لو كنت مددت إلىَّ يدك لكنت تعلقت بها .

(صمت)

مارك ، حتى لو كنت أثير اشمئزازك الآن ، فإننى أود أن تعدنى بأن تترك فترة من الزمن تنقضى ، ثم بعد ذلك تفكر بطريقة أفضل . لو أعرف أننى لا أنفرك فمهما

أصبحت ، يلوح لى أن ذلك سيجعلنى أشعر أننى لازلت شابة .

(صمت)

ألا تجيبنى ؟ ومع كل فإننى أجد متعة فى أن تتيح لى فرصة الكلام . أعتقد أنها أول مرة أتحدث فيها إليك . وأقول لك جانبا مما يجثم فوق قلبى . إننى لا آمل طبعا أن أجعلك تدرك أنه كان لى مع ذلك دور صغير ، صغير جدا لدرجة أننى كنت أفقده من آن لآخر . ولا آمل أن أجعلك تدرك أننى إذا كنت أما سيئة - كما لابد من أنهم أخبروك - فإننى مع ذلك أحبك على طريقتى الخاصة ...

(صمت)

مـــــارك : يجب أن أنهض !

الأم : أى قطار ستأخذ ؟

مـــــارك : لست أدرى . الأول .

الأم : ألن تراها ، هى ؟

مـــــارك : تظنين أننى أستطيع أن أراها ، الآن ؟

الأم : لست أدرى ، أنا . فأنا لست على علاقة كبيرة بالتقاليد العالية .

(تضحك قليلا بعصبية)

مـــــارك : **(ينهض ، يهزها)**

ماذا بك ؟

الأم : لا شىء . لا تهزنى هكذا ! فقد أصاب بالمرض . ربما أسرفت فى الشرب .لازال الوقت مبكرا . لقد أخذت منى

زجاجتى قبل لحظة . ولكننى هنا منذ الثالثة صباحا . صحوت لكى أنظر إليك . كنت أخشى أن ترحل دون أن تقول لى شيئا .

مـــــــارك : لا يجب أن ترتدى مثل هذه الثياب . هذا فظيع .

الأم : دعنى .

مـــــــارك : يجب أن تتــركى هذا المئـــزر . وتصلحى هندامك . وتمشطى شعرك .

الأم : ما الفائدة ؟ لمن ؟

(تتداعى فوق الأرض)

مـــــــارك : لنفسك ... لى ...

الأم : أنا ، أنا عاهر .

مـــــــارك : أماه .

الأم : وأنت ذاهب . إذن ...

مـــــــارك : لابد لك حتما أن تذهبى وترقدى ، وتعتنى بنفسك .

الأم : عندما ترحل ، بعد لحظة . أما الآن فإننى لا أريد أن أفقد دقيقة واحدة . كما تعلم . يجب أن أراك حتى النهاية ، ليكن ذلك زادا لى خمس سنوات أو ست حتى الموت ...

مـــــــارك : أماه ...

جــورجــيت : **(تدخل مذعورة)** - سيدى مارك ، الفتاة .

مـــــــارك : ماذا ؟

جـــــاكلـين : **(تبعد جورجيت)** - أجل ، أنا . دعينى أدخل .

(تتوقف)

ما معنى هذا يا مارك ؟

مـــــــارك : كما تريد . إننى أقوم من النوم .

جـــــاكلـين : لا تسخر منى . ما معنى هذا الخطاب الذى كتبت لى فيه أنك لن ترانى بعد ذلك ؟

مـــــــارك : هذا يعنى أننى ذاهب .

جـــــاكلـين : مع من ؟ وإلى أين ؟

مـــــــارك : ليس مع أحد ، ولا إلى أى مكان ...

جـــــاكلـين : لماذا ؟

مـــــــارك : لقد منعتك أن تأتى لتسألينى عن ذلك .

جـــــاكلـين : إننى أحبك وواثقة من أنك تحبنى . من حقى على الأقل أن أعرف هذا .

مـــــــارك : أجل ، أننى أحبك ، ولكننى راحل . ولن تعرفى شيئا .

جـــــاكلـين : اخرج معى !

مـــــــارك : كيف ؟

جـــــاكلـين : أخرج الآخرين إذن

مـــــــارك : كلا . أريد أن يبقوا .

جـــــاكلـين : أخرج على الأقل هذه الصغيرة التى تنظر إلى وكأننى جئت هنا لكى أسرق شيئا .

مـــــــارك : كلا ستبقى .

جـــــاكلـين : حسن . سأتحدث أمامها ، فإننى لا أشعر بأى خجل ، أنا

مـــــــارك : لو شعرت بالخجل لكنت مخطئة . إنك فى هذه اللحظة أجمل ما كنت بهذا الغضب وهذا الحب اللذين يمتزجان .

بوسعك أن تقولى أى شىء أمامهما ، فى هذه الحجرة التى تسودها الفوضى ، لهذا الشاب الأشعث الأغبر . ستكونين جميلة مع ذلك . وستكون جميع حركاتك بالضبط كما يجب أن تكون ...

جـــاكلين : إنك لا تحبنى فى هذه اللحظة .

مـــــارك : بلى ، يا جاكلين .

جـــاكلين : يوجد نبرة حقد فى صوتك .

مـــــارك : صحيح . إننى أعجب بك بحقد . أنت بالغة الجمال ، وكل ما هنا بالغ القذارة ، بالغ الفقر ، بالغ الفشل .

جـــاكلين : لماذا تخبرنى بهذا اليوم ؟ لقد جئت هذه الحجرة قبل ذلك .

مـــــارك : ها أنت تقتحمينها مرتين .

جـــاكلين : سامحنى يا مارك . كان ينبغى أن أتحدث إليك

مـــــارك : **(يصرخ فيها)**

ستقولين لى إنك تحبيننى ؟

جـــاكلين : أجل .

مـــــارك : وأننى احبك ؟

جـــاكلين : أجل .

مـــــارك : وأنك ستسعديننى ؟ وأنك ستمحين جميع الأوساخ وجميع الآلام التى تطبع وجهى ؟

جـــاكلين : أجل ، يا مارك .

مـــــارك : وأننى مجنون ، أختلق الآلام ؟ انظرى ، إننى أعرف كل ما ستقولين ، فاذهبى .

جــــــاكلـين : **(بحزن بالغ)**

سـأرحل طبـعـا إذا أردت ذلك . ولكن دعنى أحـصـل على كلمـة ، عـلـى الأقـل حـتـى لا أصـاب بالجنـون ... لماذا يا مارك ؟ لماذا ؟

مـــــــــارك : أتريدين أن تزيدى من شقائى قليلا بإرغامى على إخبارك ؟ مـا الفائـدة اذهبى إذن مادمت أريد ذلك .

(تنصـرف دون أن تنبس بكلمـة وهى تتـرنح . وكلمـا ابتـعدت ، غيـر الألم وجـه مـارك . ولا تكاد تخـرج حـتى يصرخ فيها)

أحـبك ، يا جـاكلين . أحـبك ! أقـسم لك . ارحلـى وأنت تعلمين ذلك .

(تلتفت شاردة . يجرى ويركع أمامها)

ما أجملك ! ما أجملك ! ياللطيبة ، وياللنور فوق وجهك ! دعينى أنظـر إليك مرة أخرى . مرة أخيرة .

جــــــاكلـين : مستحيل يا مارك . لن يلبث هذا أن ينتهى ، ولن نلبث أن نفيق .

مــــــــــارك : كلا . قد تظـنين أننـى أضـحـى بـك فـى سـبـيـل غـرور ، أو خوف غامض ......

إنه سر واضح ،لا يرحم ، ذلك الذى يفصل بيننا .

جــــــاكلـين : تستطيع أن تخبرنى بكل شىء ، فأنت تعرف ...

مــــــــــارك : بكل تأكيد ...

(ينهض ويسير كالمجنون وقبضتاه فوق عينيه . ينفجر ضاحكا)

إننى أعرف ، أجل . أعرف حتى إننى أستطيع أن أخبرك بكل شىء . ستعرفين كل شىء ، وستغفرين كل شىء !
أجل أستطيع أن أقدمهما إليك هاتين المرأتين . وأقول لك إننى ابن هذه وصورتها الصادقة .

(يهز جورجيت)

وأقول لك إن تلك جاءتنى هذه الليلة فى الفراش ، ولم أطردها ...

جـورجـيت : اتركنى !

مـــــارك : أظهرى نفسك ! أظهرى نفسك ! انظرى . إنها فاجرة جميلة ، هيه ؟
إننى لا أحبها . وهى لا تحبنى !

(يهزها)

جـورجـيت : دعنى إذن ،إنك مجنون !

(تخلص نفسها وتهرب)

مـــــارك : ليست لديها الشجاعة لمواجهة الموقف . لقد رأيتها !
وستكونين رائعة كعهدى بك دائما . أجل إننى أحبك .
أجل ، أنت الأجمل ، وأنت الأرق ومع ذلك فإننى فى حاجة إلى هذه القردة الصغيرة .

جـــاكلين : مسكين يا مارك ...

مـــــارك : ترثين لى . لقد فهمت ، لأنك قادرة على فهم كل شىء .
أليس كذلك ؟
وهذا الفهم العجيب لابد من أنه جزء من تربيتك الممتازة .

جـــــاكلـين : مسكين يا مارك . أهذا هو السبب ؟

مـــــــارك : ليس هذا وحــسب ! انتظرى ، إنك لم ترى كل شىء .
هناك الفصل الآخير! انظرى هناك بالقرب من السرير .
فوق الأرض . إنها أمى . أتسمعين ! أنت التى اطلعتنى
على صورة أمك الباسمة المعلقة على جدار حجرة
استقبالك ، تلك السيدة الجميلة التى ترتدى الدنتيلا،
وسط أصدقائها فى يوم من أيام الاستقبال الحافل .

مـــــــارك : هذه أمى ! وعندها هى الأخرى يوم استقبال . هو اليوم .
هيا انهضى . سلمى . انهضى ! سلمى . على الآنسة .

الأم : ماذا بك ؟ أهذه هى يا مارك ؟

مـــــــارك : يجب أن تعذريها . فهى لا تعرف كثيرا كيف تحيى الناس .

جـــــاكلـين : أوه ! مارك . أتوسل إليك ...

مـــــــارك : هل أنت مسرورة ؟ هذه التى كنت تريدين رؤيتها ؟

(يدفع أمه ، تكاد تسقط فوق الأريكة)

انظرى ،إنها تسقط حينما نتركها ، ينبغى أن أسر إليك
إنها أسرفت فى الشرب .

جـــــاكلـين : مارك ، ماذا بك ؟ إننى خائفة . أنت مجنون .

مـــــــارك : لأنها تشرب ! إنك لم ترى شيئا بعد ! يجب أن تشاهديها
وهى تشرب ، أين زجاجتها ؟ صحيح لقد أخذوها منها .
ولكننا سنفتح لها أخرى . فدائما يوجد زجاجات هنا !

(يفتح زجاجة)

هيا . اشربى . اشربى .

الأم : مارك ، أنت مجنون .

مـــــارك : أقول لك اشربى .

الأم : ولكنك ستخنقنى أنت مجنون . أنت مجنون .

جـــاكلين : مارك ، أنا لا أحب ذلك ! إننى أمنعك ! ...

مـــــارك : **(يدفعها)** . دعينى . اشربى . اشربى إذن !

الأم : **(تضحك قليلا وهى تشرب)** – أنت مجنون ، يا صغيرى أمام الناس ، أمام خطيبتك ...

مـــــارك : لأننى نسيت ذلك . إنها خطيبتى ...

(يصرخ)

خطيبتى . وليمة الخطبة . زهور الخطبة . تعارف الخطبة . أمى . أمك فى المستقبل . هيا ،الانفعال . الانفعال . عشاقها المختلفون ليسوا موجودين . اعذريهم فلقد احتجزتهم أعمالهم أو بعض الواجبات الاجتماعية . . ولكنهم كثيرون . على الأقل اثنا عشر . سنقدمك إلى أولئك الذين سنستطيع أن نجدهم منهم .

الأم : ولكن ماذا بك يا مارك ؟

مـــــارك : ومع ذلك فإنك تعرفين أحدهم . آخرهم وأجملهم . السيد مارسيل ! السيدمارسيل ، يا ترى فى أى ناد قابلته ؟ ألا تذكرين جيدا ؟ إنه سائق والدك . السائق الذى سرق ، وقمتم بطرده . وها أنت ترين أن لنا أصدقاء مشتركين . فأمى كانت عشيقة لسائق والدك . والآن ماذا تفعلين هنا ؟

(ينهار من الإعياء . صمت طويل)

جـــــاكلـين : **(مخاطبة الأم)** سامحينى . إننى سأرحل . إننى لا أفهم شيئا . لو يسمح لى بالبقاء لحظة ، وبالتحدث إليه .

الأم : **(ضجرة ، ورأسها على الأريكة)**
أوه ! افعلى ما تريدين ... فأنا الآن قد فقدته .

جـــــاكلـين : **(تضع يدها فوق كتفه)** – مارك ...

مـــــــارك : إننى أبله . دعينى يا جاكلين . إنك أعظم من هذا كله وأكبر .

جـــــاكلـين : كلا ، يا مارك .

مـــــــارك : دعينى ، مادمت أطلب منك . فأنت تعرفين تماما أننا لا ننقذ الناس رغما عنهم .

جـــــاكلـين : أريد أن أنقذك رغما عنك ، يا مارك . أنك أعظم من الحقد الذى يعتمل فى نفسك ، ومن هذا المشهد الرهيب ، ومن كل شىء . كنت أعرف هذا كله . فقد كنت أشك فيه منذ فترة طويلة . فالصغيرة مثلا ، أول يوم جئت فيه هنا ، أدركت أنها عشيقتك ، وأنها تحبك .

مـــــــارك : إنها لا تحبنى . أنا أدفع لها الثمن .

جـــــاكلـين : وأدركت أيضا ، منذ فترة طويلة ، أنك تتعذب بسبب أمك . سا محينى يا سيدتى ، ولكن يجب أن نتكلم الآن بمنتهى الصراحة .

الأم : مارك . دعنى أخرج . فما عساها ستقول ؟

مـــــــارك : أبقى ، يا أمى .

جـــــاكلـين : لا تخافى . فلن أقول شيئا يخجلك ، أو يضايقك . لقد تعذب مارك بسبب حياتك . بسبب استهتارك . ولكننى

أعتقد أنك كنت بائسة شقية ،أليس كذلك ؟ فإذا شئتما ساعدتكما ، حتى هذا الحقد الذى يقوم بينكما ، يبدو لى أننى أستطيع أن أقضى عليه .

الأم : دعنى أذهب يامارك ...

مـــــارك : كلا .

جـــاكلين : سنذهب لنعيش فى الريف . أنا غنية . من المخجل أن أقول هذا ، ولكنكما ستريان أن كل شىء يصبح سهلا بقليل من المال . إن مارك يحبنى وأنا أحبه ولسوف يحب بعضا بعضا .

الأم : **(تتوسل)** – دعنى أذهب يا مارك .

مـــــارك : ابقى يا أمى !

جـــاكلين : لماذا تريدين أن تذهبى ؟ هل أبدو غبية خرقاء فى نظرك ؟ ربما يكون فى كلامى ما يجرحك . يجب أن تسامحينى ! إننى أشعر برغبة شديدة فى إسعادك ، مارك ! لم هاتان اليدان فوق وجهك ، مادمت ترى أن كل شىء ممكن ...

مـــــارك : لا شىء ممكن . اذهبى .

جـــاكلين : أهى تكرهنى ؟ ألا تريد أن تأتى معنا ؟

مـــــارك : بلى ، هو ذلك .

جـــاكلين : ربما سأكون قاسية . ولكننى لا أقول ذلك من أجلى ، وإنما لأننى أحبك يا مارك ، عليك أنت الآن أن تحيا ! إنك لا تستطيع أن تبقى هنا يوما آخر . فأنت من جنس آخر . وأن الترف والمال والمجد وغيرها من الأشياء التى لا معنى لها بين يدى الآخرين ، إنما هى من أجلك أنت .

مـــــــارك : **(بمنتهى البساطة)** ليس هذا هو كل شىء يا جاكلين . فإن أمى لكى تحصل على خمسمائة فرنك تعطيها لعشيقها ، قتلت أبى قبل ثلاثة أيام .

جـــاكلين : ماذا تقول يا مارك ؟

مــــارك : **(يصرخ فيها)** أقول لك إنها قتلت أبى ! أتجدين لذة فى سماع هذه العبارة مرتين ؟

جـــاكلين : ولكنك لا تدرى ما تقول ؟

مـــــارك : إننى أدرى ، بكل أسف .

جـــاكلين : أبوك مات ؟

مـــــارك : دفن بالأمس .

جـــاكلين : وكيف مات ؟

مـــــارك : لقد تسمم من أكل نبات القطر .

جـــاكلين : ماذا ؟

مـــــارك : نبات فطر سام قدمته له أمس . عمدا . هل فهمت الآن ؟

(صمت)

الأم : **(تهمهم)** – لا يجب أن تخبرها يا مارك ..

جـــاكلين : **(تنظر أمامها فى ثبات)**

(صمت آخر ، تسأل فجأة)

وأنت ، هل كنت تعلم ؟

(لا يجيب)

لم تكن تعلم . أنا واثقة من ذلك . سنهرب من هذا الكابوس ، ونصبح سعيدين . ستهيئ لها حياة رغدة

وهدوءا ، حيث تريد . وسنرحل إلى الطرف الآخر من العالم . قل ، لم تكن تعلم ، يا مارك ؟ فلا يمكن أن تتحمل عبء هذا الذنب . يجب أن تتركها ، وتأتى معى ، أنا التى أحبك ، وسأنقذك .

مـــــارك : **(بعد صمت ، وجها لوجه)**

نعم ، كنت أعلم .

الأم : مارك .

مـــــارك : لقد ساعدتها ...

الأم : أنت مجنون يا مارك ، لماذا تقول هذا ؟

(صمت آخر)

جـــاكلين : ولكن ماذا تقول ؟

مـــــارك : **(يسير نحوها وهو يصرخ كالمجنون)**

لقد ساعدتها . لقد أعددت نبات الفطر . هل تسمعين ؟ قدمته بهاتين اليدين ، ورأيته وهو يأكله . وكنت أنظر إليه وهو يتلوى ويخضر لونه فوق الفراش ، بعينى هاتين ... هل أدركت الآن ؟

جـــاكلين : **(تتراجع وتدمدم)**

بواسطتك أنت يا مارك ؟ لماذا ؟

مـــــارك : لست أدرى سببا . إننا هنا لا ندرى شيئا من الأسباب . من أجل النقود . من أجل الحصول على الصغيرة . من أجل لا شىء . إن هذا يخيفك ، فاذهبى . لست هنا فى بيتك ... هذه المرة لا تستطعين أن تفهمى . كلا . لا أريد

أن أحبك ! كلا ! لا أريد أن أذهب معك ! كلا ، لا أرغب في شفقتك . ولا أرغب في حبك . أريد أن أبقى هنا وسط قذارتي ... معها .

(يسشير نحوها رافعا قبضته . تخرج وهى تجرى ، يظل لحظة مشدوها . ثم يذهب فيسقط فوق سريره . الأم تقترب فى خشية)

الأم : لو شئت ، وضعت المنضدة الصغيرة ، وتناولت إفطارك في سريرك ، كما كنت تفعل حينما كنت تتمارض لكي لا تذهب إلى المدرسة . ستكون على ما يرام .

(صمت)

انظر ، لقد تلاقينا بعد سنوات طويلة من الفراق . سنكون على ما يرام . فلن يخجل أحدنا من الآخر عندما نكون بمفردنا . لا يجب أن نرى الآخرين . هذا كل ما فى الأمر .

(تحوطه بذراعيها)

تغط يا عزيزى !

تخيل أنك صغير ، وأننى لست تلك العجوز الشمطاء . وإنما الأم الجميلة التى فى الصورة ، التى تحبها . سنتناول إفطارنا معا ، ولن نفترق ، أليس كذلك يا مارك ؟

مـــــارك : **(والدموع تسيل فوق وجهه)**

بلى !

الأم : ستبقى ! إنك تريد أن تبقى مع ذلك ! أوه ، إذن لم يضع كل هذا الوقت وكل ما فعلت . لم يضع ما دام كان لابد منه لكي نتلاقى ! صغيرى مارك! رجلى الصغير !

(لجورجيت التى تدخل)

سيبقى ، سيبقى ، يا جورجيت . سنكون على ما يرام نحن الثلاثة . لن نطلع أحدا على أسرارنا . انظر كم هى جميلة ، هذه الصغيرة ستكون لك كل يوم وستقوم على خدمتك . ستسعدك ، ولسوف ترى . أليس كذلك يا جورجيت .

جورجيت : (بابتسامة وضيعة)

أنت تعرف ذلك تماما يا سيدى مارك .

(ينظر إليها بذعر . وفجأة ينهض ويرحل وهو يجرى كالمجنون)

الأم : (تظل بلا حراك . ثم تصرخ وهى مكانها)

مارك ! مارك ! مارك !

(تنظر إلى الباب لحظة ، لا تزال مشدوهة ، ثم تتداعى فوق الأرض وتجلس القرفصاء بالقرب من السرير وذراعاها حولها ، كما لو كان أصابها البرد فجأة . تهمهم)

لقد رحل .

(التى لم تتحرك)

جورجيت أجل . ولكن يجب إعطائى الخمسمائة فرنك إذا أردت ألا أقول شيئا .

(الأم لا يبدو عليها أنها سمعت)

تسدل الستار

نهاية جيزابيل